الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# تداولية الخطاب الديني عند المعتزلة

## خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي

–تخصص: لسانيات عربية–

إعداد الطالبتين:

- خولة بزعي
- بثينة بلاتة

إشراف الدكتوره:

– جمعة مسعودي

السنة الجامعية:

2023/2022 م – 1444/1443 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وتقدير

قبل أن نشكر العباد نشكر رب العباد،

فاللهم ارزقنا حبك وحب من ينفعنا حبه عندك

إلى كل من علمنا حرفا، إلى كل أساتذتنا وعلى

رأسهم الأستاذة المشرفة "جمعة مسعودي"

التي ساعدتنا بكل ما أمدها الله من قوة في إنجاز

هذا البحث نقف لها وقفة إجلال وتقدير، مقدرين

فيها لين الجانب واسداء النصيحة

إلى كل من لم تسعهم مساحة الورقة فأبى قلبنا

إلا أن يجعلهم الله نازلين في رحابه

# إهـــــداء

إلى ملاكي في الحياة وإلى معنى الحب والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جروحي وإلى أغلى الحبايب "أمي الحبيبة" أطال الله في عمرها.

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير "أبي العزيز" أطال الله في عمره

إلى من شاركوني رحم أمي إلى رياحين الحياة أخوتي الأعزاء: "أحلام"، "حسيبة"، "إسلام"، "رحمة"، "عقبة" أدامكم الله فخرا إلى والدي

إلى من شاركتني متعة هذا العمل "بزعي خولة"

إلى الذين نسيهم القلم ولم ينساهم القلب وإلى من ساندني وساعدني ولو بنصيحة

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

# إهـــــداء

أرى رحلتي الجامعية قد شارفت على الانتهاء بالفعل، من بعد تعب ومشقة لوقت طويل، وها أنا اليوم أختم بحث تخرجي بكل ما لدي من جهد ونشاط وبداخلي كل تقدير وامتنان لكل شخص كان له الفضل في مسيرتي وقدم لي المساعدة ولو باليسر

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أشكر الله عز وجل أولا وأخيرا، له الحمد وله الفضل، ما كنت لأفعل لولا فضل الله، فالحمد لله عند البدء وعند الختام، الحمد لله على التمام وعلى لذة الإنجاز

إلى معلمي الأول وسندي الثابت في كل خطوات حياتي، مصدر فخري وسعادتي الذي لا أرى الدنيا إلا به

(أبي العزيز أدامه الله ذخرا لي)

إلى التي رآني قلبها قبل عينيها، وحضنتني أحشاؤها قبل يديها، أيام عظيمة تلك التي سهرتي بها من أجلي وعلمتني بأن الحياة عقبات كلما اجتزتها كلما خطوت خطوة إلى النجاح

(إلى أمي الحبيبة حفظها الله)

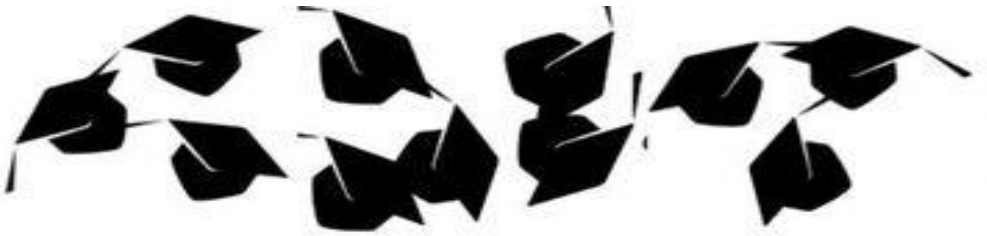

إلى مصدر قوتي وسندي الذين كانوا ملجئي وملاذي أخواتي وإخوتي

"لمين"، "طارق"، "غلام"، "وسام"، "توبة"

إلى نسائم الفرح "توبة" ، "ضياء الدين"

إلى من شاركتني في هذا العمل وفي مشواري الجامعي الجميلة "بلاتة بثينة"

إلى الذين أمدوني دائما بالقوة وكانوا موضع الاتكاء في عثراتي وكانوا لي حضنا وسندا ومنارة وزرعوا لي التفائل في دربي "هدى" "أسماء" "ريان" "تقوى" "بثينة"

وأخيرا وليس آخر أهدي هذا العمل المتواضع

إلى كل من يتكبد عناء قراءته سواء لتقييمه أو لنقده أو لزيادة علمه أو لإشباع فضوله

خولة:

# مقدمة

يتأسس الخطاب الأدبي بمختلف أجناسه على خلفية الاستفادة من مبادئ، واجراءات الدرس اللساني اللغوي، فيتأثر بما يحصل فيه من تغير وتطور دائمين، ولكن كثيرا من تلك الدراسات اعتنت بالجانب الشكلي والسياق الداخلي التركيبي فقط، فهي دراسات لا تتسم بالشمولية لأنها تدرس الخطاب بمعزل عن منتجه، وبعيدا عن سياقه الخارجي، وما يحيط به من ظروف، وهذا لا يمكننا من الوصول إلى المعنى المراد من الخطاب بفك شفراته وترميزاته أو الوقوف على ما فيه من تلميحات وإشاريات.

ونتيجة لهذا الإغراق في عزل الخطاب عن ظروفه الخارجية؛ بل حتى عن مؤلفه اتجهت الدراسات – وبظهور النظرية التداولية في اللغة– نحو تحريره من هذه الصرامة في التحليل إلى الانفتاح على أفق رحب يضع في حسبانه تحليل نوايا المتكلم وقصده والظروف المحيطة بإنتاج الخطاب وتلقيه وقد أجرى الكثير من الدارسين المقاربة التداولية على الخطابات الأدبية، سواء الشعرية منها أو النثرية والشفوية أو المكتوبة.

ومقاربة هذه الخطابات تداوليا تفرض علينا تجاوز حدود النظر إلى نصوصها على أنها مجرد دلالات، ومضامين لغوية؛ بل هي نشاط لغوي يحاول أصحابه التعبير من خلاله عن أغراض، ومقاصد تهدف إلى تصوير مواقف شخصية واجتماعية بالألفاظ والعبارات، والتأثير في المتلقين بأي شكل من الأشكال باعتبار أن اللغة ليست وسيلة للتواصل الاجتماعي فحسب وإنما هي أداة لتغيير الوقائع والتأثير في العالم.

والخطاب الديني بمختلف صوره التعبيرية، وباعتباره يمتلك كل المواصفات النصية كغيره من الخطابات الأدبية الأخرى قابل للمقاربة التداولية لأنه على غرار الاستعمالات اللغوية العديدة يحمل قصد وهدف منشئه الذي يسعى لتأسيس علاقة بالخطاب مع المتلقي من جهة والمحافظة على هذه العلاقة باستغلال الاختبارات اللغوية التي يقوم بها من جهة أخرى، كما يأخذ هذا الخطاب طابعا براغماتيا حينما ترتبط مضامينه بحاجات الأفراد.

وللخطاب الديني أشكال عدة منها: الدروس الوعظية، وحلقا العلم، ومجالس الفتوى ... وتعد الخطبة فنا رئيسيا في انتاجه لأنها تخاطب الجماهير بطريقة إلقائية شفوية بغية استمالتهم، ومن ثم اقناعهم. وهذا الأخير إضافة إلى التأثير هما غاية الخطابة، ومحورها الأساسي، وهذا ما تسعى إليه التداولية في مقارباتها التحليلية للخطاب.

فالخطبة هي الفن النثري المقصود بهذه الدراسة في هذا البحث؛ باعتبارها وعاء يحتوي الخطاب الديني ففيها يجد الخطاب ضالته؛ لأنه يسعى ليلقي للناس كلاما يتوخى أن يكون بليغا، ومؤثرا ليحقق من ورائه غاية من الغايات باستغلال كل ما من شأنه أن يجعل خطبة مقنعة ومؤثرة، ومن هذا المنطلق حاولت هذه الدراسة الاقتراب من مقاصد هذا الفن من خلال استحضار المنهج التداولي –الذي يعني بلغة التواصل– لما تقتضيه طبيعة الموضوع ولما يمتلكه هذا المنهج من مفاهيم اجرائية قادرة على فك شفرات الخطاب وقد وقع الاختيار على خطبة "واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء أنموذجا" للدراسة التطبيقية ليستقر البحث على عنوان: "**تداولية الخطاب الديني عند المعتزلة خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء – أنموذجا**".

قد اجتمعت جملة من الأسباب لاختيار هذا البحث يمكن اجمالها في قيمة الموضوع وأهميته، فالبحث في هذا الحقل له أهمية كبيرة إذ إن التداولية بإجراءاتها التحليلية تعد مدخلا هاما من المداخل التي تحيلنا إلى مقصد الخطاب؛ فهي تولي أهمية كبرى لأقطاب العملية التواصلية اللسانية حين تهتم بالمتكلم ومقاصده وتمنح أهمية للظروف السياقية بوصفها عناصر تساعد في تأدية هذه المقاصد، وتعول كثيرا على استغلال المستمع للظروف السياقية في سبيل الوصول إلى المعنى الذي قصده المتكلم.

– جدة الموضوع، وقلة الدراسات المتخصصة فيه، إذ إن الدراسات التي عنيت بتداولية الخطاب الديني عموما قليلة، ولم يولوا أهمية كبيرة للأشكال التعبيرية التي يمكن أن يتجسد فيها

الخطاب الديني، كالخطبة مثلا التي اتخذناها أنموذجا لهذه الدراسة ببحث في خطبة "واصل بن عطاء". أما عن اختيار الخطبة فكان لسببين:

الأول: يتمثل في أن هذه الخطبة لم تحظ بالدراسة.

الثاني: جاء نتيجة لتميز لغتها ومن ذلك خلوها من حرف الراء فهل أثر ذلك على مدى حملها للمعاني وتأثيرها في المتلقي.

– كثرة المراجع في الشق النظري من التداولية وقلتها في الجانب التطبيقي فأردنا أن نسهم بدراسة جدارية تطبيقية عساها تكون إضافة لما قل.

سيحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال عام هو:

– ما هي الأبعاد التداولية التي يحتويها الخطاب الديني عند واصل بن عطاء المعتزلي ويتفرع عنه ما يأتي:

– كيف عمل واصل ابن عطاء على استغلال السياق الوجودي في التواصل مع متلقيه؟

– كيف استغل واصل بن عطاء أفعال الكلام بتصنيفاتها المختلفة في التعبير عن مقاصده التخاطبية في خطبته؟

– ما هي طبيعة الآليات الحجاجية التي اعتمد عليها واصل بن عطاء في خطبته للتأثير في مخاطبيه؟

– وماهي الطريقة التي استغل بها الإشاريات في الخطاب للتعبير عن مقصده وغايته؟

وانطلاقا من ما سبق ولتحقيق الأهداف المرجوة ستكون خطة البحث مقدمة فمدخل ثم ثلاثة فصول وخاتمة في الأخير.

فأما المدخل الموسوم بالمجال المفاهيمي لمصطلحات الدراسة فتضمن أربعة مباحث أساسية، الأول يتعلق بمفهوم التداولية ونشأتها، والثاني بماهية الخطاب والخطاب الديني والخطبة، والثالث بمفهوم المعتزلة والأخير يتعلق بسيرة واصل بن عطاء المعتزلي.

سيخصص الفصل الأول بالأفعال الكلامية في خطبة واصل بن عطاء، حيث سيعالج نظرية أفعال الكلام من خلال التطرق إلى مفهوم الفعل الكلامي وتطوره عند كل من جون أوستن (J.L.Austin) وتلميذه سورل (J.R.Searle) ثم محاولة تجسيدها في المجال التطبيقي من خلال الوقوف عليها في خطبة واصل بن عطاء من أجل استخراج أفعال الكلام فيه بمقترح سورل وبالتالي تبين كيفية استعمال واصل بن عطاء لأفعال الكلام ومدى تأثيرها في تبيان مقصدية الخطابية المختلفة.

في حين سيكون الفصل الثاني موسوما بـ "الحجاج وآلياته الاقناعية في خطبة واصل بن عطاء" ويتضمن خمسة مباحث رئيسية؛ الأول يتعلق بمفهوم الحجاج، والثاني الحجاج في الدراسات الغربية والعربية المعاصرتين أما الثالث متعلق بالسلالم والقوانين الحجاجية في حين يتعلق الرابع بالروابط والعوامل الحجاجية، والأخير: تطبيق هذه الآليات الحجاجية الاقناعية في خطبة واصل بن عطاء، حيث سيتم تناول السلالم الحجاجية والروابط والعوامل وأدواتها في خطبة واصل بن عطاء، نظرا لما يظلع به من أدوار فعالة في انسجام الخطاب من ناحية، وفي توجيه الخطاب من ناحية أخرى.

وإن الفصل الثالث والمعنون بـ الإشاريات التداولية في خطبة واصل بن عطاء فسيتم التطرق فيه إلى ثلاثة مباحث؛ الأول يتعلق بمفهوم الاشاريات والثاني بأنواعها، وهي الشخصية والزمانية والمكانية، أما الثالث فسيتم الوقوف فيه على ابراز تجليات كل نوع منها في الخطبة من خلال تحليلها.

وفي الأخير تأتي الخاتمة التي تعد بمثابة تسجيل لأهم النتائج المتوصل إليها في البحث.

أما عن المنهج المعتمد فهو المنهج الوصفي الذي رصد أهم المعلومات الخاصة بتأسيس مباحث التداولية كجانب نظري يسبق الدراسة التطبيقية، التي يتكون عمدتها المنهج التداولي الذي يعد مستوى تصنيفي إجرائي في الدراسات اللغوية المعاصرة يتجاوز المستوى الدلالي ليبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوليها، وعلاقتها بالسياق على لغة الخطاب عند انتاجه مع اعطاء عناصر هذا السياق أهمية، وهي المتمثلة في مقاصد المرسل، وظروف الخطاب الخارجية والعلاقة بين طرفي الخطاب أي البحث في خصائص تداول الخطاب الديني بين المتكلم والسامع.

أما عن سندنا في هذا البحث جملة من المراجع أهمها:

– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر "لمحمود أحمد نحلة".

– استراتيجيات الخطاب – مقاربة تداولية لعوية – "لمحمد الهادي بن ظافر الشهري".

– اللسان والميزان أو التكوثر العقلي "لطه عبد الرحمان".

– نظرية البراغماتية اللسانية "لمحمود عكاشة".

– نظرية أفعال الكلام "لجون أوستن".

ومن أهم الصعولات التي واجهت البحث:

– جدة الموضوع، كما أن اتساع مباحث الدرس التداولي بسبب تعدد مصادره المعرفية وطغيان الجانب الفلسفي في بعض الدراسات التي تناولت هذه النظرية حال دون الإلمام الكلي بمباحثها ناهيك عن ندرة الدراسات التي تناولت الخطاب الديني بلغته العادية وفق المنهج التداولي.

– قلة الدراسات التي تسلط الضوء على حياة الخطيب، وخطبته، فكل ما وجدناه عبارات متناثرة في بعض الكتب الأدب والتراث، ولكن بعون الله تعالى تم تخطيها، ويرجع الفضل الكبير لذلك بعد الله عز وجل لأستاذتنا المشرفة على البحث، الدكتورة الفاضلة "مسعودي جمعة" التي

تحملت عبء الإشراف على هذا البحث حيث منحتنا من وقتها وجهدها ما يعجز اللسان والقلم عن القيام بشكرها، فكانت نعم الأستاذة المشرفة، فجزاها الله عنا كريم الجزاء.

وفي الختام نسأل الله تعالى السداد وقبول الجهد فإن أصبنا فلنا حظان وإلا فأجر المحاولة.

# المدخل:

# مفاهيم أولية

أولا: التداولية، المفهوم، النشأة، والتطور

ثانيا: الخطاب والخطاب الديني والخطبة

ثالثا: المعتزلة المفهوم والنشأة

رابعا: واصل بن عطاء المعتزلي

# أولا: التداولية: المفهوم والنشأة والتطور

## 1- مفهوم التداولية:

### أ- لغة:

وردت مادة (دول) في معجم مقياس اللغة على أصلين: "أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء فقال أهل اللغة: إندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم: إذ صار من بعضهم إلى بعض والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب.[1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ): "تداولنا الأمر أخذناه بالدول .... ودالت الأيام أي دارت، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة"[2]

نلاحظ أن التداولية لم ترد بهذا اللفظ في معاجم العربية وإنما الذي ورد مستقلا نرى منها: الدولة والدولة والتي كان معناها التبدل والتحول والانتقال.

### ب- اصطلاحا:

تعددت تعاريف التداولية من ذلك أنها: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم، والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"[3].

---

[1]- مقاييس اللغة لإبن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان، ط 2، 1991 م، (مادة دول).

[2]- لسان العرب لإبن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3، 1994، (مادة دول).

[3]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، د ط، 2002، ص ....

- "تشارلز موريس" (Wliam Mouris Charls) يرى أن التداولية هي: "دراسة علاقة العلامات بمستعمليها وبمؤوليها"[1].

- "هي دراسة أفعال اللغة والسياق الذي تؤدى فيه هذه الأفعال"[2].

أما "فرانسيس جاك" فيقول: "تتطرق التداولية إلى اللغة في أبعادها الخطابية والتواصلية والاجتماعية معا"[3]

وهو تعريف للتداولية بطريقة غير مباشرة إذ ركز على استعمال اللغة في سياقاتها المختلفة.

* ومن هذه الرؤى المتعددة فإن التداولية لا تخرج عن إطار استعمال اللغة مهما ركزت على جوانب مختلفة.

## 2- النشأة والتطور:

لم تكن ولادة التداولية دفعة واحدة؛ بل كانت على دفعات بسبب اختلاف العلوم التي انبثقت منها، إذ تعاقبت عليها تيارات حتى نضجت واستوى عودها، إذ أنه، وقبل ظهورها كعلم مستقل خاص له كينونته وما هيته ومفاهيمه الإجرائية، تعالقت مع كثير من العلوم متأثرة بالدراسات الفلسفية والمنطقية والقانونية والاجتماعية وغيرها.

---

[1]- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 22.

[2]- التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، عيد بليغ، كنوز المعرفة، ط 3، 1441 هـ - 2020م، ص 24.

[3]- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، عمان 2009م، ص 97.

## أ- عند الغرب:

يرجع أول استعمال لهذا المصطلح إلى الفيلسوف تشارلز موريس ( Wliam Mouris Charls) سنة 1938 من خلال تقسيمه الثلاثي بين حقول علم العلامات: النحو، الدلالة والتخاطبية أو التداولية ويمكن القول إن مبتدع التداولية هو شارلز بيرس (Ch.s.peirse) إلا أن تلميذه تشارلز موريس هو الذي أدخلها ضمن إطار نظري يعني فيه هذا المصطلح العلاقة بين العلامات ومستعمليها[1].

وهو تعريف يتجاوز المجال اللساني يشمل غيره من المجالات غير اللسانية (المجال السيميائي).

قطعت التداولية في تاريخها الممتد من الخمسينيات من القرن العشرين إلى حدود الآن أشواطا مهمة، ومرت بعدة تحولات. فبعدما كانت تنعت قبل عقود بسلة المهملات، أضحت حقلا معرفيا خصبا ومتجددا، لا حدود تحده ولا حواجز تمنعه من اقتحام حقول أخرى، حيث كانت هذه المرحلة حاسمة في صياغة معالم التداولية، خاصة مع سلسلة من المحاضرات التي ألقاها أوستن سنة 1955 بجامعة هارفورد حول فلسفة ويليام جيمس، حيث بلور في هذه المرحلة مبحثا محوريا تناقلته الدراسات التداولية اللاحقة، خاصة سورل، مداره حول أفعال الكلام.[2]

"وإذا كانت التداولية في البداية مجرد مشروع، ثم اكتسبت في مرحلة ثانية بعض الأهمية من أبحاث أوستن وغرايس، وغدت اتجاها قائم الذات، فإن المرحلة المهمة في تاريخ التداولية تزامنت مع انفتاحها على العلوم المعرفية والأبحاث المتعلقة بالذكاء الإصطناعي، وهي أبحاث غيرت الوجه العام للتداولية وأعلنت ميلاد ما يعرف بالتداولية المعرفية"[3].

---

[1] ينظر، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2010، ص 05.

[2]- ينظر، التداولية، أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 2016، ص 20.

[3]- المرجع نفسه، ص 21.

أشرنا في ما سلف إلى أن التداولية أضحت حدثا لسانيا ومعرفيا خلال العقود الأخيرة بعدما كانت إلى عهود قريبة تنعت بسلة مهملات اللسانيات، حيث ترمى كل القضايا اللسانية المربكة، غير أن هذا القدح لم يكن عائقا لتتبوأ التداولية مكانة مميزة. ومن الدلائل المؤشرة على ذلك تزايد عدد الدراسات والبحوث والندوات التي اتخذت التداولية موضوعا لها.

**ب- عند العرب:**

"لم يكن العرب تابعيين للغرب في مجال الدراسات التداولية، وإنما كان لهم مجال الريادة والسبق؛ فقد أخذوا يحللون الأساليب اللغوية، وتوصلوا إلى نظرية المقاماتية أو المقام؛ لأن الكلام يختلف من شخص لآخر، بل يختلف من نفس الشخص إذا تغير حاله وحال من يتلقى منه الكلام"[1].

"ومما نأكد به أسبقية العرب في الدراسة التداولية ما ذكره الدكتور "البدراوي زهران" من أن الفصل السابع من الكتاب الثاني لخطابة أرسطو وعنوانه "ملاءمة الأسلوب" ألصق بما يسميه علماء البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويرى أن للعرب الفضل في دقة المصطلحات التي وضعوها، وكذلك اختيار الشواهد من كلامهم"[2].

"وابن قتيبة يرجع إليه السبق أيضا في قضية التواصل الأدبي في كتابه الشعر والشعراء من خلال حديثه عن تهيئة المخاطب نفسيا؛ ليتقبل ما يقصده الخطاب والانفعال به انفعالا ظاهرا.

ولا ننسى دور الإسلام الواضح في هذا المجال، ويتضح ذلك في السطور القليلة المقبلة.

---

[1]- الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، محمد محمود السيد أبو حسين مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2010، ص 09.

[2]- المرجع نفسه، ص 10.

لقد كان للدين الإسلامي الفضل الكبير في ريادة العرب؛ فالدين الإسلامي دين يحث على العلاقات الاجتماعية بين المسلمين، ورسالته معجزة في حد ذاتها[1].

## ثانيا: الخطاب والخطاب الديني:

صار الخطاب من المفاهيم التي تعرف استعمالا واسعا في العلوم الإنسانية منذ نهاية ستينات القرن الماضي، غير أنه لم يعرف استقرار على تعريف محدد حتى لدى الباحث الواحد، نظرا لتعدد المنظورات والمجالات المعرفية التي تتجاذب به ضمن مجال واسع هو تحليل الخطاب، ثم إن مفهوم الخطاب مرتبط بالنشاط الإنساني الذي يعرف دينامية مستمرة وهو نتاج تواصلي مرتبط بالإنسان والمجتمع، لذلك فهو غير مستقر[2].

وقبل أن نشرع في التعريف الإصطلاحي لكلمة (الخطاب) سنبدأ بالتعريف اللغوي أولا، لأن مدلولات اللغة غالبا ما تؤثر في المصطلحات.

### 1- تعريف الخطاب:

**أ- لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) "الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةٌ وخطاباً، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب وفي قوله أيضا: "الخطابة هو مراجعة الكلام قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[3]، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الإشتراك والمشاركة.

وورد أيضا في أساس البلاغة "للزمخشري" (ت 538 هـ) "خطب: خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام، وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول: خِطْبٌ، واختطب القوم

---

[1]- المرجع السابق، ص 10.

[2]- الشعرية وانسجام الخطاب لسانيات النص وشعرية جان كوهن، مصطفى رجوان، دار كنوز المعرفية، عمان، ط 1، 2020، ص 16، 17.

[3]- لسان العرب ابن منظور، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، مادة (خطب).

فلانا: دعوه إلى أن يخطب إليهم، وتقول له: أنت الأخطب البين الخطبة، فتخيل إليه أنه ذو البيان في خطبته[1].

وجاءت مادة خطب في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: " **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** " [الفرقان/63].

وقوله أيضا: "**رَبُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَحْمَانُ لَا يَمْلِكُونَ مِنهُ خِطَابًا**" [النبأ/37].

ومما ذكر سابقا نجد أن المفهوم اللغوي للخطاب يحيل إلى الكلام وهذا ما يؤكده تفسيرات القدماء والمحدثين بأن الخطاب كلام يفترض وجود ثلاثة عناصر

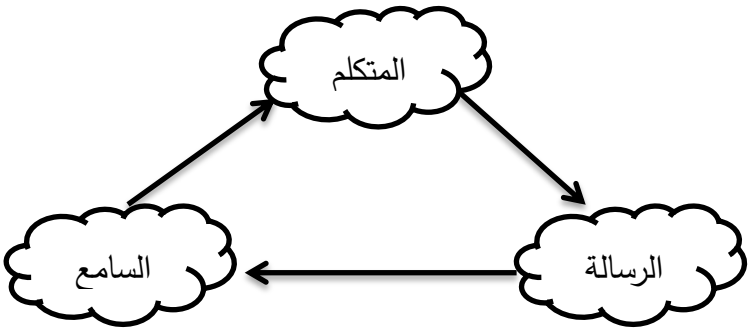


**ب- اصطلاحا:** يشير أحمد المتوكل في كتابه "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية" بأن الخطاب هو "كل انتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروف المقامية"[2] فيقصد أن الخطاب غير محدد لا من حيث الطول ولا من حيث الحجم، فقد يرد جزء من الجملة أو الجملة أو متتالية من الجمل.

[1]- ينظر: أساس البلاغة الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، مادة (خطب).

[2]- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص، أحمد المتوكل، دار الأمان، المغرب، ط1، 2013، ص 484.

وعرف أيضا بأنه: "كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، ويفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها"[1].

ويعرف "بنفنيست" الخطاب بأنه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما ويقصد بالتلفظ الذي عده معادلا للخطاب، الملفوظ منظورا إليه من زاوية عمليات اشتغاله في التواصل أي الاستعمال الفردي للغة الذي يمثل الفعل الحيوي في عملية انتاج الخطاب[2].

وهذا الموقف يفضي إلى القول أن الخطاب ظاهرة تداولية تشتغل على تكوينه الأقوال لا الجمل.

## 2- الخطاب الديني:

لقد تعددت الآراء حول تعريف الخطاب الديني واختلفت ومن الصعوبة التوصل لتعريف محدد لهذا المصطلح الجديد نسبيا، فالخطاب الديني يعد من التعبيرات الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية العامة، واللغويات الاجتماعية خاصة.

يرى كثير من المفكرين المعاصرين أن الخطاب الديني لا يخرج عن كونه خطاب الدعاة والوعاظ والخطباء حين يقدم لجمهور الناس على أنه الوصف السليم والفهم الصحيح، وبلغة أكثر وضوحا يرى البعض أن الخطاب الديني هو استخدام الحجة الدينية في الحكم على ما يستجد للمسلمين في حياتهم المعاصرة[3].

---

[1]- تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، أحمد عبد الله الطيار، حولية كلية أصول الدين، القاهرة، العدد 22، المجلد 3، 2005، ص 12.

[2]- ينظر اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط 1، 2015، ص 25.

[3]- ينظر : الخطاب الديني تجديد لا تبديد .... وتطوير لا تحريف، محمد عبد الفتاح مصطفى، كنوز، القاهرة، ط 1، 2017، ص 17.

ويقول البعض إن الخطاب الديني "هو كل حديث مقروء أو مسموع أو مرئي، فهو يشكل لونا من ألوان الخطاب للآخر، فالخطاب الديني –ونقصد به الخطاب الإسلامي– لا يتوقف على كتابة أو كلام فحسب إنما يتعداه"[1].

والخلاصة إن الخطاب الديني ليس مجرد الخطابة التي نتلقاها من منابر المساجد في صورة خطبة أو موعظة، بل هو مجمل ما يصلنا من أفكار أو تصورات بأشكال تعبيرية مسموعة أو مكتوبة، وهو استخلاص رؤى الإسلام في أمور العبادات والمعاملات المستجدة من أحوال البشر استخلاصا من أصول الكتاب والسنة.

## 3- تعريف الخُطبة:

**أ- لغة:** اشتق لفظ الخطبة من المادة (خ، ط، ب) التي تدل على معان كثيرة في المعاجم العربية؛ جاء في "لسان العرب" "لابن منظور" (ت 711 هـ) "الخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال، ورجل خطيب: حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء، وخَطُبَ بالضم وخَطَابَةٌ بالفتح أي صار خَطِيبًا"[2].

وجاء أيضا في "القاموس المحيط" "لفيروز آبادي" (ت 817 هـ) "خطب الخاطب على المنبر خَطابةٌ بالفتح وخُطبةٌ بالضم، وذلك الكلام: خُطبةٌ أيضا أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه ورجل خطيب: حسن الخُطبة"[3].

---

[1]– المرجع نفسه، ص 17 –18.

[2]– لسان العرب، ابن منظور، مادة (خطب).

[3]– القاموس المحيط الفيروز ابادي تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط 1، 2008، مادة (خطب).

وفي "أساس البلاغة" "للزمخشري" (ت 538 هـ) "خَطَبَ: خاطبهُ أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام وخطبَ الخَطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خِطبة جميلة، وكثر خُطابها وهذا خِطبها، وهذه خِطبُهُ وخِطبتُهُ"[1].

* فيظهر في التعريفات السابقة بأن الخطبة ما يلقيه الخطيب من كلام حسن جميل وعلى هذا الأساس فإن عماد الخطبة وسر نجاحها هو إقناع واستمالة الجمهور للموضوع المطروح.

**ب- اصطلاحا:**

الخطبة في العربية "عبارة عن كلام مشتمل على البسملة والحمدلة والثناء على الله تعالى بما هو أهله والصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وتكون في أول الكلام، ثم خطبة المنابر غير خطبة الدفاتر لأن خطبة المنابر تشتمل على ما ذكرنا مع اشتمالها على الوصية بالتقوى والوعظ والتذكير ونحو ذلك بخلاف خطبة الدفاتر فإنها بخلاف ذلك كذا في العيني شرح صحيح البخاري في شرح الحديث الأول"[2].

ومن أقدم ما عرفت به الخطابة؛ تعريف أرسطو (ت 322 ق.م) بأنها: "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[3].

أما الجرجاني (ت 816 هـ) فيعرف الخطابة على النحو التالي: "هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم كما يفعله الخطباء والوعاظ"[4].

ومنه فالخطبة أو الخطابة هي فن نسج الكلام وإلقائه بتصرف مبدع في فنون الفصاحة والبلاغة، للتأثير في نفوس المتلقين أو إقناعهم واستمالتهم لفكرة معينة.

---

[1]- أساس البلاغة، للزمخشري، مادة (خطب).

[2]- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان.

[3]- الخطابة، أرسطو طاليس، تحقيق عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص 9.

[4]- معجم التعريفات، الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1985، ص 103.

## ثالثا: مفهوم المعتزلة ونشأتها:

### 1- المعتزلة:

أ- **لغة:** لم يرد تعريفا لغويا لمصطلح المعتزلة بل ورد بلفظة (الإعتزال)، حيث عرفه "الفراهيدي" (ت 170 هـ): "عزلت الشيء نحيته، ورأيته في معزل أي في ناحية عن القوم معتزلا، وأنا بمعزل منه، أي قد اعتزلته، والعزلة: الإعتزال نفسه. والأعزل: الذي لا رمح له فيعتزل عن الحرب"[1].

* وجاء أيضا في "أساس البلاغة" "للزمخشري" (ت 538 هـ): "ما لي أراك في معزل عن أصحابك؟ وأنا بمعزل من هذا الأمر. واعتزلت الباطل وتعزلته؛ وأراك أعزل عن الخير؛ قال حسان:

فإن كنت لا مني ولا من خليقتي

فمنك الذي أمسى عن الخير أعزلا"[2]

* وورد أيضا "الاعتزال" في "لسان العرب" "لابن منظور" (ت 711 هـ) عَزَلَ الشيء يُعَزِّلُهُ عَزْلًا وعَزَّلَهُ فَاعْتَزَلَ وَانْعَزَلَ وَتَعَزَّلَ: نَحَّاهُ جَانِبًا فَتَنَحَّى. وقوله تعالى: "إِنَهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُلُونْ" [الشعراء/212]؛ معناه أنهم لما رموا بالنجوم منعوا من السمع. قول الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي اتعزل

حذر العدى وبه الفؤاد موكَّل[3]

---

[1]- كتاب العين، أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003م، مادة (عزل).

[2]- أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (عزل).

[3]- لسان العرب، ابن منظور، مادة (عزل).

* ومما تقدم يتضح لنا أن الاعتزال في اللغة يدور حول المفارقة والتنحي والانفراد والانقطاع والإمالة وهذه المعاني تدل على الإنفصال والمفاصلة، وعليه فالمعتزلة في اللغة هم المفارقون والمنفردون والمنفصلون عن غيرهم.

**ب- المعتزلة اصطلاحا:** هي فرقة من كبار الفرق الاسلامية، كانت بداية ظهورها بسبب وقوع اختلاف في أحد مجالس "الحسن البصري"، حيث خالف "واصل بن عطاء" أحد تلاميذ "الحسن البصري" وكان حاضرا المجلس الذي دارت فيه المناقشة فقام واصل ومن تبعه واعتزل المجلس فقال "الحسن البصري": قد اعتزل عنا واصل، فلذلك سمي هو وأصحابه معتزلة؛ ويلقبون أيضا بالقدرية.[1]

انعقدت المعتزلة في البصرة أوائل القرن الثاني الهجري على يد "واصل بن عطاء"، و"عمر بن عبيد" بعد حضورهما مجلس "الحسن البصري"، ووافق ظهورها أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي[2].

"وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الاسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، القدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعدية"[3].

ويتضح مما سبق أن المعتزلة اعتمدت على المنهج العقلي في فهم العقيدة الاسلامية وقرروا أن المعارف كلها عقلية. وقد انقسموا إلى طوائف مع اتفاقهم على مبادئ رئيسية وهي: التوحيد العدل، الوعد والعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[1]- ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، ص 1574.

[2]- ينظر: نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ظافر سعيد شرقه، مركز الفكر المعاصر، الرياض، ط 1، 1433هـ، ص 61.

[3]- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط 4، 1420 هـ، ص 64.

## رابعا: واصل بن عطاء المعتزلي:

هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي، المعروف بالغزال، مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم، كان من الأدباء والأئمة البلغاء، ولد سنة ثمانين 80 هـ بالمدينة ونشأ بالبصرة توفي بالمدينة المنورة سنة احدى وثلاثين ومائة (ت 131هـ) وذكر أن واصلا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت له لثغة في الراء فيجعلها غنيا، فلاقتداره على اللغة وتوسعه يتجنب الوقوع في لفظة فيها راء كما قيل: وخالق الراء حتى احتال للشعر.[1]

وذكر "الجاحظ" في "البيان والتبين" أنه كان ألثغ ينطق غنيا فقال: "أسقط تلك المحنة ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمّل"[2]

وفيه يقول أسباط بن واصل الشيباني:

وأشهد أن الله سماك واصلا وأنك محمود النقيبة والشيم[3].

هو وعمر بن عبيد رأسا الإعتزال، طرده الحسن عن مجلسه لما قال: الفاسق لا مؤمن ولا كافر فانظم إليه عمرو، واعتزلا حلقة الحسن، فسُموا المعتزلة قال الشاعر:

وجعلت وصلي الراء لم تلفظ به وقطعتني حتى كأنك واصل.[4]

---

[1]– ينظر: أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 1954، ص 164 / ينظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان أبي بكر خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1978، ص 7.

[2]– البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 7، 1998، ص 15.

[3]– المرجع نفسه، ص 27.

[4]– سير أعلام النبلاء، عثمان بن قايماز الذهبي، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ط 1، 2004، ص 4116.

# الفصل الأول:

# الأفعال الكلامية في خطبة واصل بن عطاء

## أولا: نظرية أفعال الكلام

**1- مفهوم الفعل الكلامي**

**أ- الفعل الكلامي عند أوستن (مرحلة التأسيس)**

**ب- الفعل الكلامي عند سيرل (مرحلة البناء)**

## ثانيا: أفعال الكلام وقوتها الانجازية في خطبة واصل بن عطاء.

**1- الاخباريات**

**2- التوجيهات**

**3- الالتزاميات**

**4- التغييرات**

**5- الإعلانيات**

## أولا: نظرية أفعال الكلام:

تشكل نظرية "الأفعال الكلامية" الركيزة الأساسية وأهم النظريات التي قام عليها البحث اللساني التداولي. وتعد من أهم المجالات فيه إن لم يكن أهمها جميعا، بل إن التداولية في نشأتها كانت مرادفة "للأفعال الكلامية" وما يؤكد هذا الترابط بين الأفعال الكلامية واللسانيات التداولية، أن الأفعال الكلامية تكاد تتضمن ظواهر المجالات التداولية الأخرى، وتكاد تعادل التداولية من حيث الاستعمال اللغوي في التواصل الاجتماعي ولذلك ليس غريبا أن يعد "جون أوستن Austin" – وهو مؤسس نظرية أفعال الكلام– كما قال العلماء أبا التداولية وقد ولدت نظرية "الأفعال الكلامية" في رحاب الفلسفة التحليلية، التي مهد لها الفيلسوف النمساوي "فيتجنشتاين Wittegenestein" هذا الأخير الذي يرى: أن وظيفة اللغة لا تقتصر على الاخبار والوصف فحسب، بل لها وظائف أخرى كالأمر والإستفهام والتمني والشكر والتهنئة.[1]

ويطلق عليها أيضا: "(نظرية الحدث الكلامي، ونظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية) في نظر أغلب الباحثين جزء من اللسانيات التداولية"[2].

### 1– مفهوم الفعل الكلامي:

يعتبر الفعل الكلامي من أهم المفاهيم التي قامت عليها التداولية وهو يحتل موقعا أساسيا ضمن هذا العلم، ويشكل أساسا ودعامة من دعائم التداولية، وهو مفهوم ظهر في إطار نظرية "الأفعال الكلامية" التي جاء بها "أوستن" وتلميذه "سيرل" ويعود الفضل في ظهوره إلى الفلسفة التحليلية متمثلة في اتجاه اللغة العادية.

---

[1]– ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 41،42.

[2]– التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 10.

وقد عرفه صاحب "التداولية عند علماء العرب" بقوله: "فإن الفعل الكلامي يعني التصرف أو العمل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"[1].

وبالتالي فهو يراد منه الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة.

ويقول "مرتضي جبار كاظم" في كتابه "اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني": "ومن ثَمَّ فاللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية"[2].

وتعرفه فرانسواز أرمينكو بأنه: "أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ في سياق مناسب فليس التلفظ بالخطاب فعلا تصويتيا بل هو فعل لغوي فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من خلال اللغة"[3].

ونلاحظ من التعاريف السابقة الاتفاق في كون الفعل الكلامي ليس مجرد التلفظ به وإنما ما يحققه من إنجاز فعلي. مثال ذلك: أخرج، هذه جملة أمر يترتب على التلفظ بها إنجاز أمر هو الخروج.

## أ- الفعل الكلامي عند (أوستن Austin) (مرحلة التأسيس):

إن اللغة حسب "أوستن" المؤسس لنظرية أفعال الكلام ليست مجرد وسيلة للوصف، ونقل الخبر أو التعبير عن الفكر، وإنما هي أداة لتغيير العالم، وصناعة أحداثه، والتأثير فيه.

يقول الأخير – أوستن – "إن النطق بالجملة هو إنجازها وإنشاؤها"[4].

---

[1]_

[2]- اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، ص 42.

[3]- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص 60،61.

[4]- نظرية أفعال الكلام العامة، جون أوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، مطابع إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، (د ط)، 1991، ص 17.

ويعد هدف "أوستن" في البداية أن يتحدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة، أي أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تقييدها[1].

وعلى هذا الأساس – الذي أرساه أوستن – فإن اللغة تهدف إلى وصف الواقع، وكل الجمل عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية والنداء يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة.

ولذلك اهتم "اوستن" بدراسة المعنى في سياق الكلام وأثناء الاستعمال، مميزا بين نوعين من المنطوقات:

* **المنطوق التقريري (اخباري):** "وظيفته تقرير أو وصف العالم الخارجي ويمكن أن نحكم عليه بالصدق أو الكذب"[2] ويتحقق فيه مع المفهوم البلاغي للخبر.

* **منطوق أدائي (إنجازي):** "يمكن الحكم عليه بالنجاح أو الفشل ووظيفته إنجاز فعل أو شيء بمجرد التلفظ به مثل: التسمية، الوصية، الاعتذار، النصح، الوعد"[3].

ومنه فإن اللغة مجرد أدارة رمزية تشير إلى الواقع الموجود في العالم الخارجي ولا عمل لها إلا وصف العالم الخارجي، وبناء على ذلك ميز أوستن أنواع الملفوظات كما في المخطط التالي:[4]

---

[1]– ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص 191.

[2]– مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس لهويمل، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، 2014، ص 23.

[3]– المرجع السابق، ص 23.

[4]– التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص 89.

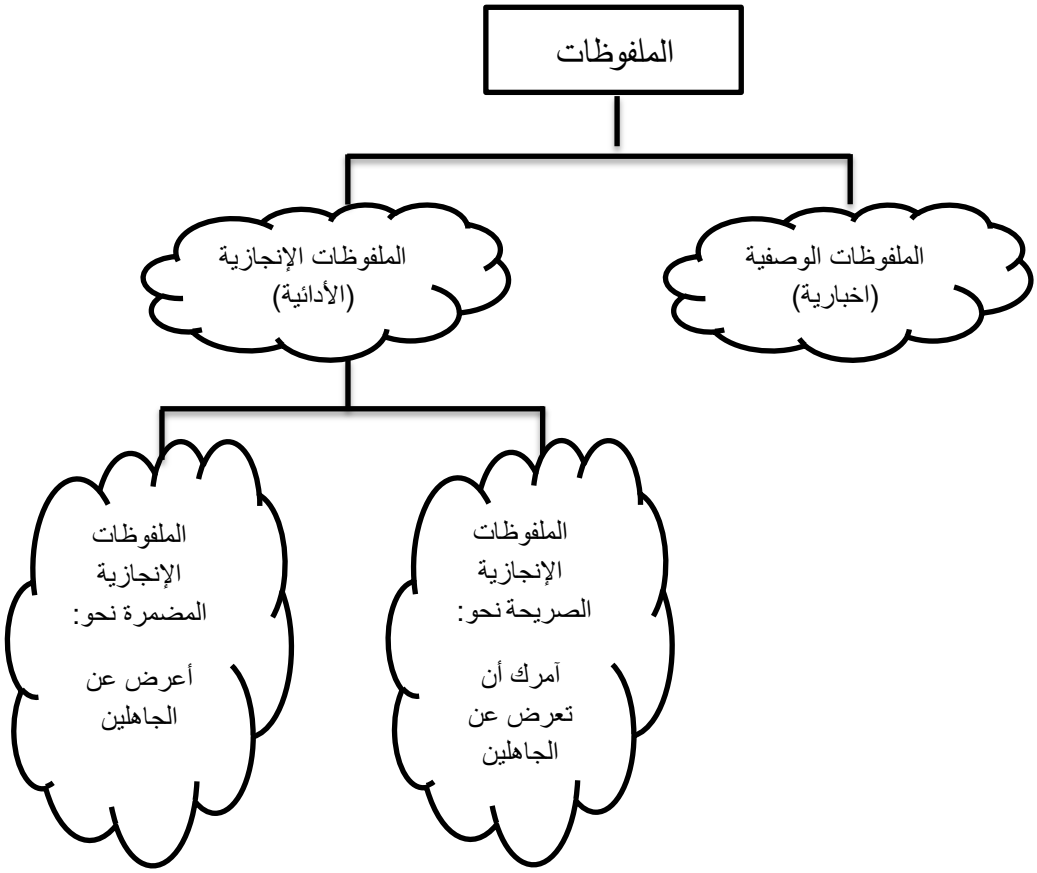


وقد وضع أوستين لتحقيق المنطوقات (الملفوظات) الأدائية شروط مناسبة الموقف وهي شروط الملائمة (الإفادة).

* **الشروط التكوينية:** وتضم خمسة شروط جزئية:

- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي معين (كالزواج والطلاق).
- أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة (قاضي في المحكمة وبيده عقدة البيع في المزاد).
- أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.
- أن يكون التنفيذ صحيحا والظروف مناسبة.
- أن يكون التنفيذ كاملا (ففي فعل البيع مثلا يجب أن يتحقق الإيجاب والقبول).

* **الشروط القياسية للإجراء :** وهي أربعة شروط:

- أن يكون المشارك في الاجراء صادقا في أفكاره.
- أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في مشاعره.
- أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في نواياه.
- أن يلتزم بما يلزم نفسه به[1].

**نحو:** إذا قلت لشخص أعدك بأن أساعدك وأنت تنوي أن لا تساعده أو إذا قلت لرجل: أنصحك بكذا وأنت تقصد تضليله، فقد أسأت أداء الفعل.

الشروط السابقة الذكر – الشروط التكوينية – تنجز بها أفعال في ظروف ملائمة ومنها التسمية والوصية، الاعتذار، النصح، الوعد، الرهان، التحذير، وتكون هذه الأفعال موفقة إذا تحققت لها الشروط الملائمة (الإفادة)، وإذا لم تتحقق كان لها الفشل والاخفاق إلى جانب هذه الشروط شروط قياسية وهي ليست لازمة لأداء الفعل في حد ذاته بل لأدائه أداء موفقا غير معيب، فإذا لم تتحقق كان في ذلك إساءة عند الأداء للفعل.

وقد تبين لأوستين (Austin) أن تميزه بين الأفعال الاخبارية والأدائية غير حاسم وأن كثيرا مما تنطبق عليه شروط الأفعال الأدائية ليس منها، وأن كثيرا من الأفعال الاخبارية تقوم بوظيفة الأدائية مما أدى به إلى طرح السؤال التالي: كيف ننجز فعلا حين ننطق حرفا؟.

وفي سعيه للإجابة عند هذا السؤال رأى أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد وهي:[2]

## * الفعل القول (الفعل اللفظي)

ويراد به "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة" ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة ولكن أوستن يسميها أفعالا:

---

[1]– ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2013، ص 97-98.

[2]– ينظر، آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 45.

فأما الفعل الصوتي عنده، هو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة وأما الفعل التركيبي فهو التأليف بين المفردات طبقا لقواعد لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان واحالات محددة[1].

*** الفعل المتضمن في القول (الفعل الانجازي):**

"ويراد به: الحدث الذي يقصدها المتكلم بالجملة، كالأمر أو النصيحة، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية"[2]

إن الفرق إذن بين الفعل الأول والثاني أن الأول مجرد قول في حين الثاني هو قيام بفعل ضمن قول.

*** الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري):**

"ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الانجازي في السامع.

وقد فطن أوستن إلى أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا فمنها مالا تأثير له في السامع، فوجه اهتمامه إلى الفعل الانجازي حتى غدا لبّ هذه النظرية فأصبحت تعرف به أيضا، فتسمى أحيانا النظرية الإنجازية."[3]

* ويمكن أن نمثل هذه التصنيفات الثلاث التي قدمها أوستن للفعل الكلامي بهذا المخطط المبسط كتوضيح لما تطرقنا إليه سابقا:

---

[1]– ينظر، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث العربي، د. مسعود صحراوي، ص 41.

[2]– النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) "دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ" لمحمود عكاشة، ص 99.

[3]– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 46.

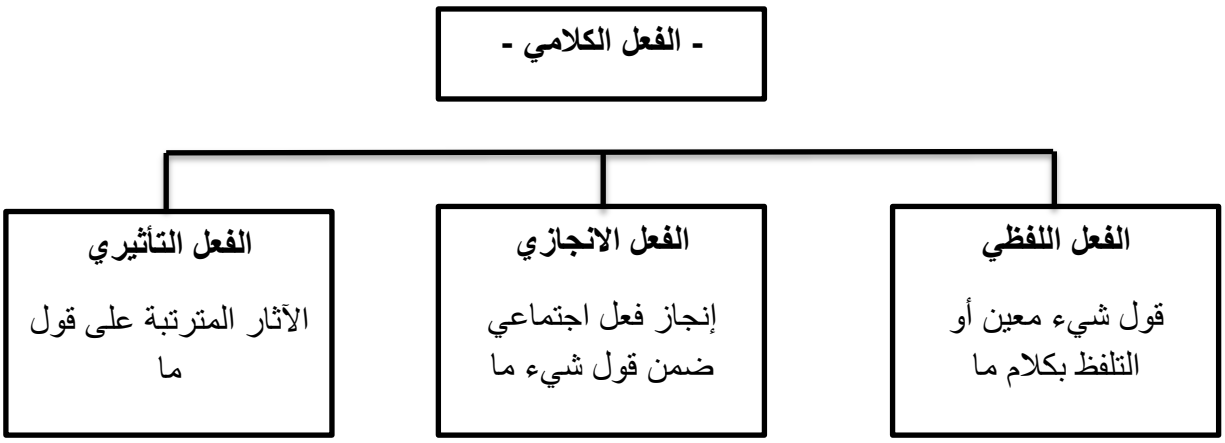


وبما أن أوستن وجه اهتمامه إلى الفعل الانجازي (الفعل المتضمن في القول) بِعَدِّهِ صلب العملية اللسانية كلها، وبحث عن الأصناف التي تتفرع عن هذا الفعل، فأحصى خمسة أصناف وهي كالتالي:[1]

- **القرارات التشريعية أو الحكميات:** ويختص بكونه ناتجا عن إطلاق أحكام على واقع أو قيمة مما يصعب القطع به ويصدره قاض أو حكم، نحو: برَّأ، قيَّم، وصنَّف.

- **الممارسات التشريعية أو التمرسية:** وتتعلق بممارسة السلطة والقانون والنفوذ وتقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال نحو: أمر، دافع، ترجي.

- **الوعديات أو التكليف:** وقد تكون إلزامات للمتكلم بأدائه فعلا ما أو تكون إفصاحات عن نواياه ومن أمثلتها: وعد، أنذر، أقسم، راهن، نوى.

- **السلوكيات (الأوضاع السلوكية):** تختص بمجموعة منتشرة من الأفعال تندرج تحت باب السلوك والأعراف الاجتماعية أي ترتبط بافصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين نحو: الاعتذارات والتهاني والتعارف والقسم وأنواع السُباب والقذف.

[1]- ينظر، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس لهويمل، ص 24.

- **المعروضات الموصوفة أو التبيينيات:** تستخدم لعرض المفاهيم وتوضيح استعمال الكلمات وتوضيح علاقة أقوالنا بالمحادثة وتكون رد فعل لحدث ما، نحو: أكد، وأنكر، وأجاب، اعترض.

* غير أن أوستن لم يكن راضيا ولا مقتنعا على أي واحدة من هذه التصنيفات وإنما جعل تصنيفه بصفة مؤقتة (أولي).

## ب- الفعل الكلامي عند سيرل (Searl) (مرحلة البناء):

شكلت أفكار أوستن وأبحاثه السابقة في نظرية أفعال الكلام المرحلة الأولى التأسيسية لها، حيث ساهم في إرساء قواعد لهذه النظرية، وتحديد عدة مفاهيم أساسية فيها، وخاصة مفهوم الفعل الإنجازي، لكن ما قدمه لم يكن كافيا لتقديم نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، ويأتي بعده تلميذه جون سيرل مطورا لما قدمه أستاذه أوستين ومستفيدا من محاضراته فأدخل بعض التعديلات على نظرية أفعال الكلام.

لقد كرس سيرل جهوده لإعادة النظر في نظرية أفعال الكلام من خلال محورين متكاملين الأول خصصه لتحليل شروط نجاح الفعل الكلامي، والثاني مداره حول اقتراح نمذجة عامة لأفعال الكلام:[1]

استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وتمثلت الأفعال الإنجازية المباشرة لديه في الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم أي أن يكون ما يقوله المتكلم مطابقا لما يعنيه، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة لديه فهي الأفعال التي تخالف فيها قوتها الإنجازية قصد المتكلم، وهذه الأفعال لا تدل صورتها التركيبية على زيادة في المعنى الحرفي الإنجازي، وإنما لزيادة متأتية من قصد المتكلم.[2]

---

[1]- ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص 91.

[2]- ينظر: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني لقراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، د. مرتضى حبار كاظم، ص 45.

"والفعل الكلامي في منظور "سيرل" أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم ومقصده بل يرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي"[1].

وكخلاصة لما تطرقنا إليه سابقا وضعنا هذا المخطط التوضيحي:

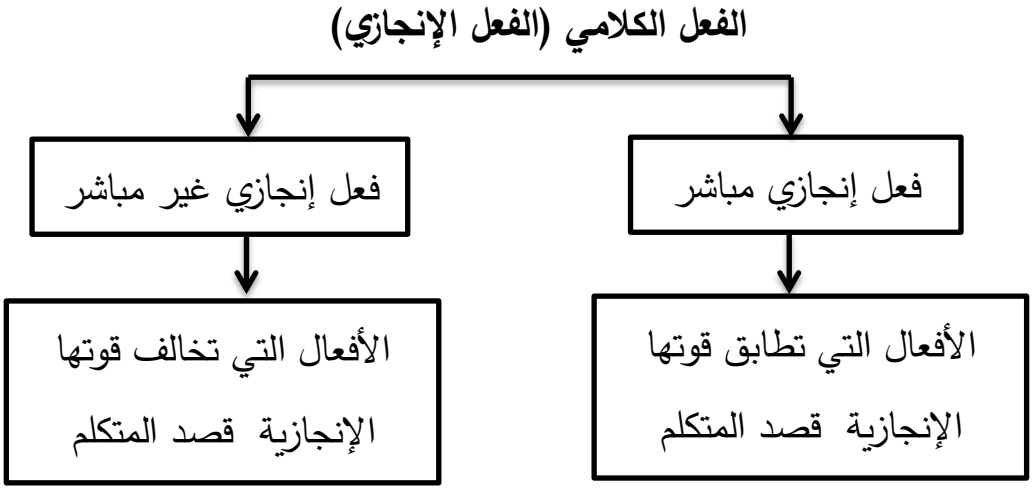


وقد حدد سيرل سبعة شروط متحكمة في الفعل الإنجازي، نوجزها في ما يلي:[2]

* **الشروط الأولية:** وهي شروط تبين ضرورة اشتراك المُتَخَاطِبَيْنِ في جملة من المعارف القبلية التي تمثل خلفية للتواصل بينهما.

* **الشروط التحضرية:** وتندرج هذه الشروط التحضيرية ضمن متضمنات القول. مثال ذلك: سأعيرك سيارتي. فملفوظ من هذا القبيل يفترض أن المتكلم يملك سيارة.

* **شروط الغاية:** وتقتضي هذه الشروط أن يكون للمتكلم غايات يرمي إليها كالإخبار والتعبير والإلتزام والتقرير...

[1]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– ينظر، التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص 92-93.

* **شروط المواضعة:** وتتشكل من التعابير اللسانية التي يلجأ إليها المتكلم لإنجاز فعل ما. فإذا أراد التعبير عن إلتزامه بفعل شيء ما قال: أعد، ألتزم، أتعهد.... وإذا أراد التحذير قال: أحذر أتوعد، أنذر ...

* **شروط القصد:** وتضم مختلف النوايا التي بمقدور المتكلم التعبير عنها كالإخبار والاستفهام والأمر ...

* **شروط المحتوى القضوي:** وتتشكل من القواعد التركيبية والدلالية التي توجه القوة الإنجازية لملفوظ ما، فالمحتوى القضوي للوعد مثلا يستلزم أن المتكلم سينجز فعلا ما مستقبلا.

* **شروط الوفاء / الإخلاص:** وتحدد الحالة النفسية للمتكلم، من حيث اعتقاداته ورغباته ونواياه أثناء التلفظ بالفعل، فعندما يخبر المتكلم، فمن المفترض أن يكون الخبر صادقا، وعند التزامه بفعل شيء ما فذلك يقتضي القدرة على الوفاء بالوعد.

ومنه فإن هذه الشروط وضعت لنجاح استعمال الفعل الإنجازي.

وقد مهدت هذه النمذجة الطريق لسيرل من أجل إعادة النظر أيضا في مكونات الفعل الكلامي إذ ذكرنا آنفا أن كل ملفوظ لدى أوستن يتألف من فعل القول، وفعل الإنجاز وفعل التأثير، ولم تختلف جهود سيرل كثيرا عما قدمه أستاذه باستثناء إضافة الفعل القضوي لمكونات الفعل الكلامي المباشر، وعلى هذا الأساس أضحى هذا الأخير يتألف من أربعة مكونات هي: فعل القول والفعل القضوي، والفعل الإنجازي والفعل التأثيري[1].

ونفصل في الأمر كما يلي:[2]

- **فعل القول (الفعل النطقي):** ويتمثل في النطق الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

---

[1]- ينظر، المرجع السابق، ص 94

[2]- ينظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 75.

– **الفعل القضوي:** وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر والفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم دائما مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب.

* لأنه لا يمكن النطق بفعل قضوي دون أن يكون لدينا مقصد من نطقه.

– **الفعل الإنجازي:** هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي.

– **الفعل التأثيري:** وسبق تناوله عند أوستن إذ أشار إلى أن الفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا فمنها ما لا تأثير له في السامع ولأجل ذلك ينبغي أن نشير إلى أن الفعل التأثيري ليس له أهمية كبيرة عند سيرل، لأنه ليس من الضروري عنده أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما.

والملاحظ مما سبق أن سيرل قد قام بقفزة نوعية في الدرس التداولي، فقد أبقى على الفعل الإنجازي والتأثيري على حالهما مع تصريحه بعدم أهمية الفعل التأثيري في حين جعل من فعل القول نوعين نطقي وقضوي. ويرى أن المتكلم عند تلفظه بجملة ما فهو يقوم بهذه الأفعال في الوقت ذاته.

أعاد سيرل النظر في تصنيف "أوستن" (Austin) للأفعال الإنجازية فبين ما فيه من أوجه الضعف، وفي رأيه أنها لم تقم على أساس واضح، فكان على "سيرل" "Searle" أن يقدم تصنيفا بديلا للأفعال الإنجازية أحكم وأضبط. وقد جعلها "كأوستن"Austin" خمسة أصناف وهي:

* **الإخباريات:** والهدف أو الغرض من هذا النوع يرتبط بمسؤولية المتكلم وبدرجات متفاوتة حول حقيقة الاقتراح المعبر عنه (الغرض التقريري). وهي تصف كيف هي الأشياء وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق والكذب. واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ويتضمن هذا

الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستن وكثيرا من أفعال الأحكام. مثل: يزعم، يبلغ، يصنف يشخص ... إلخ.[1]

* **التوجيهيات:** ويرتكز الهدف الإنجازي لهذه الأفعال على العمل الذي يتكون من محاولات من جانب المتكلم لفعل شيء ما من المستمع، وهي ما يسعى فيها إلى القيام بأشياء للآخرين فالغرض الإنجازي هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، الأمر، الرجاء، الاستعطاف والتشجيع والدعوة والإذن والنضج، بل التحدي أيضا الذي جعله أوستن في أفعال السلوك وأفعال القرارات[2].

* **الالتزاميات:** "وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد. أما علاقة أفعال هذا الصنف بتقسيم أوستن فعلى الرغم من أن سيرل يسلم بأن تعريف أوستن للأفعال الإلزامية تعريف رائع جدا، ويأخذه كما هو، غير أنه يضع عليه اعتراضا تافها –على حد تعبيره– مؤداه أن كثيرا من الأفعال التي أدرجها أوستن في قائمته على أنها إلتزامية لا تنتمي إلى هذه الفئة على الإطلاق"[3].

* **التعبيريات:** وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي للإنسان، على أن يكون هذا التعبير تعبيرا حقيقيا خاصا لحالة سيكولوجية محددة في الواقع، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو الاتجاه الفارغ، إذ ليس لهذه الأفعال اتجاه مطابقة، لأنه بأداء الفعل التعبيري لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات، ولا الكلمات لتماثل العالم، والأحرى أن صدق القضية المعبِّر عنها يكون مفترضا، وشرط الإخلاص يمكن اعتباره في صدق التعبير عن

[1]– ينظر: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود حجي الصراف، ص 61.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 62.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الموقف النفسي، فيتضمن هذا عند أوستن أفعال السلوك كالشكر، التهنئة، الإعتذار، وأعاد سيرل التعريف بصورة أدق[1].

* **الإعلانيات:** والغرض منها إحداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الإنشاء الناجح للفعل الكلامي، فإذا أَدَّيْتُ أنا فعل تعيينك رئيسا للوفد أداء ناجحا فأنت رئيس للوفد وإذا أديت فعل إعلان الحرب أداء ناجحا، فالحرب معلنة، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص[2].

ولتأسيس هذه المجموعات الكبرى الخمس يستخدم "سيرل"Searle" ثلاثة معايير للتفريق:

– **الغرض الإنجازي:** هو الجزء الجوهري الذي يتم به نجاح الفعل الإنجازي، وهو القصد التواصلي الذي يبتغيه المتكلم بمنطوقه أي ما يريد المتكلم أن ينجزه بمنطوقه وهو عند سيرل أهم للتفريق.

– **اتجاه المطابقة:** بين الكلمات والوقائع، فإذا نطق متكلم فعلا توجيهيا أو إلتزاميا، فإن الوقائع ينبغي أن تتغير على نحو ما يشير إليه في الفعل اللغوي أي في الكلمات وهكذا يتعلق الأمر بأنه بناء على المنطوق يتغير العالم بحيث يطابق المحتوى القضوي للفعل الكلامي، ومع الاخباريات يكون الأمر عكس ذلك؛ هنا يتعلق الأمر بأن المنطوق "يُصَدَّقُ" أي أن الكلمات تطابق الوقائع.

---

[1]– ينظر : مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، جونس هنده، ترجمة سعيد حسن بحيرى، زهراء الشرق، مصر، ط 1، 2012، ص 88–89.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 89 –90.

- **شروط الإخلاص (الموقف النفسي):** يعبر عنه المتكلم بالفعل الكلامي ومواقف نفسية مثل: الرغبة، القصد، الاعتقاد .... إلخ[1]

تهدف جميع هذه الأفعال في أي صنف كانت إما لتغيير العالم، أو لجعل تلك الكلمات تلائم العالم، أو لجعل العالم يلائم الكلمات، ويتخذ المتكلم دورا محوريا هاما في جميع الأصناف.

ونوضح تصنيف "سيرل" (Searle) للأفعال الإنجازية في المخطط الآتي:

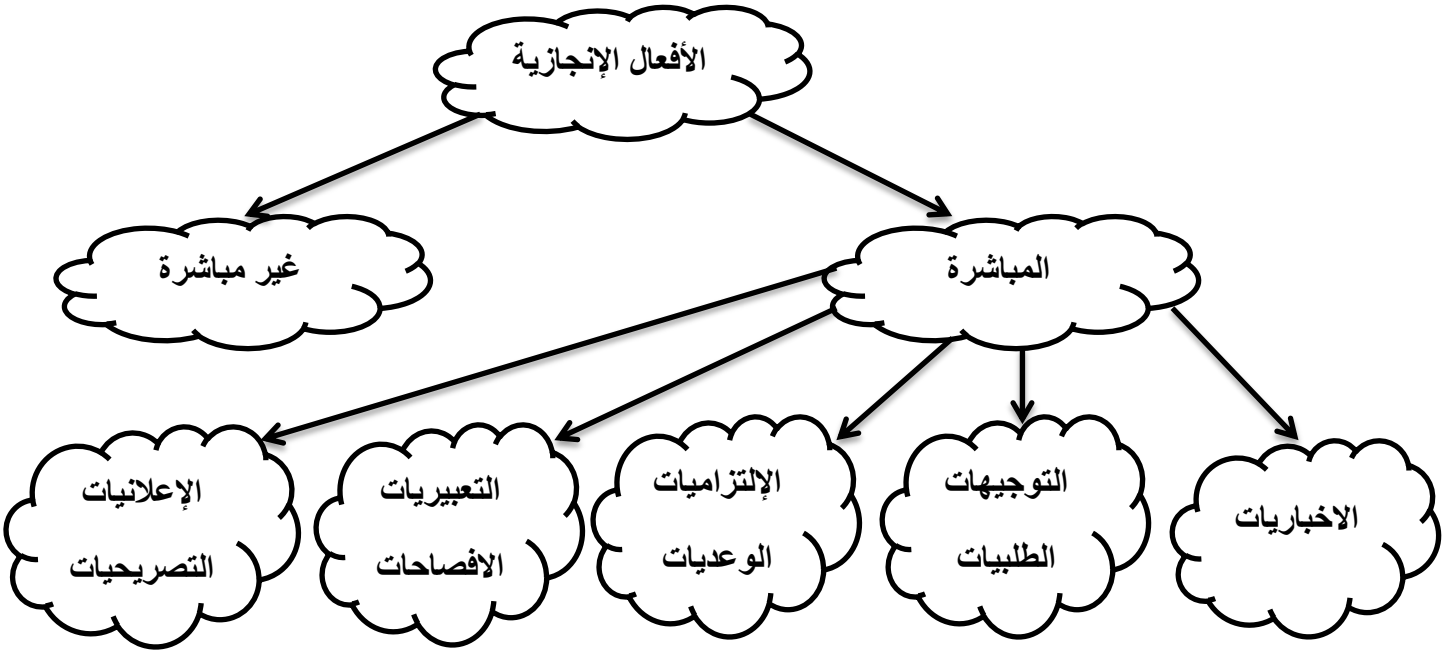


كما أن سيرل وجه إهتمامه أيضا لموضع الأفعال الكلامية غير المباشرة، إذ اتضح له أن بعض الأفعال تفصح عن معان غير معبر عنها في المحتوى القضوي للجملة:

- **الجو بارد** ⟵ هذه الجملة تعبر عن معان متعددة، تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

إذ يحتمل أن تكون متضمنة لملفوظ تصريحي مؤداه:

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 86-87.

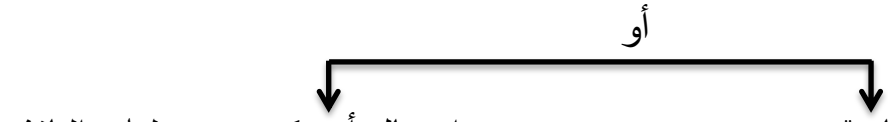


أو غير ذلك من المقاصد[1].

نستخلص مما تطرقنا إليه سابقا أن الجهود التي قدمها سيرل في نظرية أفعال الكلام كانت مرحلة بناء وتطوير لما قدمه أستاذه أوستن قبله إذ ساهم في سد جميع ثغرات هذه النظرية ووجه اهتمامه لكل مكوناتها وجوانبها.

[1]– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 95.

**ثانيا: الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية في خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء وفق نظرية "سيرل (Searl)"**

شغلت قضيت الأفعال الكلامية جل الباحثين اللسانيين فانصب اهتمامهم عليها بالدراسة والتحليل، لذلك ارتأينا تسليط الضوء على خطبة "واصل بن عطاء" التي جانب فيها حرف الراء". ومن المعلوم وبالاستناد إلى ما تطرقنا إليه سابقا بخصوص الفعل الكلامي أنه يعتبر أبرز قضايا التداولية درسا فحظى باهتمام اللغويين من أمثال الفيلسوف "أوستن" وتلميذه "سيرل"، حيث عمد كل عالم إلى تصنيف الفعل الكلامي حسب معطياته الخاصة ومكتسباته المعرفية.

ولتوضيح ذلك أكثر فضلنا دراسة الفعل الكلامي حسب التصنيفات الخمسة "لجون "سيرل" (Searl) [الاخباريات، التوجيهات، وعديات، تعبيرات، إعلانيات].

## 1- الاخباريات:

هي أولى تصنيفات الأفعال الكلامية عند "سيرل"، وقد ترجمت أيضا إلى التمثيليات والتأكيديات أو التقريريات "والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال، قضية، يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلها تحمل الصدق والكذب واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم"[1] وهي التي يكون الهدف منها "تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم –كما ذكر سابقا– وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة"[2] وغايتها الكلامية تكمن في: "جعل المتكلم مسؤول عن وجود وضع للأشياء وتشمل التأكيد، والتحديد والوصف"[3].

[1]– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 78–79.

[2]– التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلا نشيه، ص 66.

[3]– مقالات في التداولية، عمر بلخير، دار الأمن، تيزي وزو، الجزائر، 2013، ص 171.

واتخذها الخطيب حلقة وصل بينه وبين مخاطبه للتعبير عن مقاصده ومحققا بها غرضا إنجازيا، يتمثل في نقل الوقائع بكل أمانة محققة شرط الإخلاص المتمثل في صدقه كمتكلم ونقله الأمين للواقعة، وحمل المتلقي على التصديق، ومن أمثلتها قول الخطيب: "الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوه، ودنا في علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعا وعدله اصطناعا فأحسن كل شيء خلقه، وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا مثيل له، إلها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون"[1]

يوجه واصل بن عطاء خطابه في هذا النص إلى مخاطَبيه، حيث استهل خطبته بصيغة الحمدلة (الحمد لله) وهو فعل كلامي يندرج ضمن الاخباريات والغرض الإنجازي لهذا الفعل هو الإخبار والثناء على الله بما هو أهل له من الجلالة والعظمة والوحدانية والإفراد وبنعمته الظاهرة والباطنة، وهو وصف محمود بالكمال المطلق على كل حال.

وباقي قول الخطيب تضمن سلسلة من الأفعال الكلامية الإخبارية التي تكمن قوتها الإنجازية في الوصف لعظمة الله وقدرته على خلق الكون بكل ما فيه من تفاصيل وانسجام بتصميم متقن، فإن عموم الكائنات العلوية والسفلية خاضعة لسلطان الله تعالى لا تنفك عن عبوديتها لخالقها وذلك لفضله العظيم عليهم فلا يغيب ولا يخفى عنه شيء من زنة درة فما فوقها فما دونها.

[1]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 315 –316.

كما وردت في خطبته صيغة الشهادة "أشهد ألا إله إلا الله وحده لا مثيل له"[1] وهو فعل إنجازي يندرج ضمن الاخباريات والغرض الإنجازي لهذا الفعل هو الإخبار والثناء على الله بأنه لا معبود بحق إلا الله، فهو وحده سبحانه المستحق بأن تصرف له جميع العبادات وتكون خالصة له دون سواه.

وكذلك نجد قول الخطيب: "وأشهد شهادة حق، وقول صدق بإخلاص ونية، وصدق طوية، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالصته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق فبلغ مألكته ونصح لأمته وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضيا على سنته، موفيا على قصده، حتى أتاه اليقين، فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى، وأتم وأنمى، وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبياءه وخالصته ملائكته وأضعاف ذلك"[2] متضمنا لسلسة من الأفعال الكلامية الاخبارية التي تكمن قوتها الإنجازية في الاخبار والوصف والتقرير حيث أعطى الخطيب تقريرا لما بعث لأجله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الدعوة إلى الدين الحق، فكان ملبيا للدعوة ناشر للإسلام ومرشدا للأمة كما ورد في حديثه صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وفي قول الخطيب: "أشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص ونية، وصدق طوية أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه" والغرض الإنجازي لهذا الفعل هو الاقرار باللسان والإيمان وبالقلب وبأن محمدًا ابن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله إلى جميع الخلق من الجن والإنس.

التزم الخطيب في خطبته وتذكيره بحقيقة الدنيا وقدرة الله في خلقه وسبب بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة بالصدق لأنه اعتمد على عقائد دينية من السنة النبوية والقرآن الكريم.

---

[1]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 315.

[2]– المرجع نفسه، ص 316.

## 2- التوجيهيات:

هي ترجمة لمصطلح (Directives)، يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء ما و"غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات"[1] و"الأفعال التوجيهية تربط المتكلم بمخاطبيه؛ لذا قد تنوعت دلالة ومقصدية الأفعال التوجيهية في الخطبة فهي تعد أصنافا جزئية من السياق المقامي، "إذ يقصد المرِسل انجازها ويريد أن يدرك المرسَل إليه هذا القصد"[2].

ومن أمثلة ما تضمنته خطبة واصل بن عطاء قوله: "أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته والمجانبة لمعصيته، فأحضكم على ما يدنيكم منه، ويزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد، ولا تلهيكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها، وفواتن لذاتها وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين وكل شيء منها يزول، فكم عانيتم من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبائلها، وأهلكت ممن جنح إليها واعتمد عليها، أذاقتهم حلوا ومزجت لهم سما".[3]

تضمن مقطع الخطبة أفعالا كلامية أمرية "أوصيكم – أحضُكم".

وقوتها الإنجازية التي أفادتها هي: التوجيه والإرشاد، والخطيب يوصي بالمجانبة عن معصية الله ويأمر بطاعته، ثم اتجه واصل بن عطاء إلى صيغة النهي "لا تلهينكم" وهذه الصيغة فعل كلامي توجيهي، حملت في النص قوة انجازية تتمثل في تحذير المخاطب من الانزلاق في المعاصي والاغترار في الدنيا والانغماس في ملذاتها.

---

[1]- التداولية بين النظرية والتطبيق، أحمد حسن كنون، ط 1، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م، ص 384.

[2]- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص60.

[3]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

وبعدها عزز خطابه بأفعال توجيهية صيغتها الأمر في المقطع الآتي: "فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون، جعلنا الله واياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولائك هم أولو الألباب إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله الزكية آياته، الواضح بياناته، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون..."[1] هي: "تزودوا اتقوا، اسمعوا، وأنصتوا" قوتها الإنجازية التي أفادتها هي: النصح والإرشاد يدعوا من خلالها الخطيب إلى تقوى الله والتدبر في آيات كتابه المبين التي بها يُهْتَدُون.

كما ورد في الخطبة صيغة الدعاء في المقطعين الآتيين:

"جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته وممن يستمع القول فيتبع أحسنه"[2].

"نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، وبالآيات والوحي المبين، وأعادنا وإياكم من العذاب الأليم وأدخلنا وإياكم جنات نعيم، أقول ما به أعِظُكُمْ، وأستعتب الله لي ولكم" وصيغة الدعاء تعد من الأفعال الكلامية التوجيهية وتكمن قوتها الإنجازية في التوجيه والطلب.

ويعد الإستفهام من الأفعال التي تنتمي إلى صنف التوجيهيات إذ "يعد استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد، وهو ضرورة الإجابة عليها ومن ثم فإن المرسِل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث؛ بل وللسيطرة على المرسل إليه، لا حسب ما يريده الآخرون، وتعد الأسئلة خصوصا الأسئلة المغلقة من أهم الأدوات اللغوية الاستراتيجية التوجيهية"[3]

[1]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 317.

[2]– المرجع نفسه، ص 316.

[3]– استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، "عبد الهادي بن ظافر الشهري"، ص 35.

وهو فهل انجازي من جهة المخاطب والغرض منه تحقيق ما في ذهن المرسِل والمخاطب ويخرج الاستفهام في كثير من الحالات عن مراده الحقيقي والمتمثل في طلب الإفهام؛ وإن الخروج من الاستفهام الحقيقي إلى الاستفهام البلاغي يهدف لتحقيق أفعال انجازية، ومثال ذلك في خطبة واصل ابن عطاء: "أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب وكثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد وملكوا العباد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخالبها وطحنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها، وعاضتهم عن السعة ضيقا، ومن العز ذلا، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم نبسا"[1].

المخاطب في هذا المقطع هم الملوك، وهم المعنيون بالخطاب أولا ولا مانع بعد ذلك أن يتسع الخطاب لكل متلق، وبني هذا المقطع على استفهام أداته "أين" التي يسأل بها "عن العاقل والذي خرج به الخطيب من حقيقة السؤال إلى فعل انجازي آخر هو: التوجيه والإرشاد.

### 3- الإلتزاميات:

هي ترجمة لمصطلح (commissives)، تقر معظم الترجمات أن الوعديات هي الإلتزاميات والمقصود بالوعديات "تلك التي يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي، لأنها تعبر عما ينويه، وهي وعود، وتهديدات وتعهدات ويمكن أن ينجزها المتكلم فقط باعتباره عضوا في مجموعة"[2].

فالوعديات هي أفعال يلتزم بها المتكلم طوعا بفعل شيء ما للمخاطب في الحاضر أو المستقبل مع إخلاص النية والقصد، وعزمه على الوفاء بذلك ومنها أفعال الوعد، الوفاء، المعاهدة الضمان، الإنذار .... ، وتكون مطابقة الفعل من الواقع الخارجي إلى الكلمات، بحيث يصوغ المتكلم أفعاله بناء على صورتها الخارجية فإن وعد بالزيارة مثلا، فينبغي أن يكون قادرا على

[1]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

[2]- التداولية، جورج يول، ترجمة قصي العنابي، ط 1، دار العربية للعلوم، الرباط، 2010م، ص 91.

القيام بها، وأدائها، وقد كان حضور الوعديات في الخطبة في موضعين في قول واصل بن عطاء: "أوصيكم عباد الله مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته فأحضكم على ما يدنيكم منه، ويزلفكم لديه فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد"[1]، في هذا النص غرض الفعل الكلامي انجازي ويتمثل في التزام التقوى واتخاذها شعارا لا يحاد عنه، وقد صرح الخطيب بأسباب التمسك بها فهي كالدرع الحصين لكل من التزم بها، كما تعود عليه بالخير، فالخطيب قطع على نفسه وعد المتلقي بأنه إذا لزم التقوى كان من الفائزين وكانت عاقبته في أحسن معاد، وإلا كان من النادمين، والمحتوى القضوي لنتيجة هذا الإلتزام أو عدمه ستحصل مستقبلا عند الباري عز وجل.

والخطيب في قطعه لهذا الوعد كان صادقا وموقنا بتحققه؛ لأنه استقاه من حقيقة يؤمن بها هو ومتلقيه وهي القرآن الكريم إذ قال عز وجل: "يَا أَيُهَا الذَّين آمَنُوا إِنْ تَتَقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَان وَيُكَفِّر عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغفِرْ لَكُمْ والله ذُو الفَضْلِ العَظِيمْ" [الأنفال / 29].

ونجد الوعد في موضع آخر من الخطبة في قول الخطيب: "جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته، وممن يستمع القول، فيتبع أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب"[2].

في هذا المقطع ورد فعل كلامي قوته الإنجازية هي الوعد، إذ يعدنا الخطيب إنطلاقا من وعده تعالى بالهداية، وبأن يجعلنا من أولي الألباب لمن عمل صالحا واتقى الله.

## 4- التعبيريات:

وترجمت أيضا إلى التصريحيات، وهي "تلك التي تبين ما يشعر به المتكلم فهي تعبر عن حالات نفسية يمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور، أو ألم أو فرح، أو حزن أو عما

[1]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

[2]- المرجع نفسه، ص 317.

هو محبوب أو ممقوت، يمكن أن يسببها شيء يقوم به المتكلم أو المستمع، غير أنها تخص خبرة المتكلم، وتجربته"[1].

فوجه الإنجاز فيها "هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، والتهنئة، والإعتذار، التعزية، والترحيب"[2].

ومن أمثلة هذا الصنف قول الخطيب الذي استهل به خطبته (الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية)[3] فالفعل الكلامي التعبيري هنا هو الشكر والثناء على الله بما هو أهل له من الجلالة والعظمة والوحدانية والإفراد، وبنعمه الظاهرة والباطنة.

وقال أيضا: (أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكثفوا الحجاب وأعدوا الجياد، وملكوا العباد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخالبها، وطحنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها، وعاضتهم عن السعة ضيقا، ومن العز ذلا ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا)[4]، الخطيب يعبر في هذا النص متعجبا من حال الدهر مع الناس وما فعله بهم وكيف أنه يتقلب بهم من حال لحال، فيصف فعله معهم "قبضتهم بمخالبها، وطحنتهم بكلكلها وعضتهم بأنيابها، وعاضتهم عن السعة ضيقا، ومن العز ذلا ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود وأكلهم الدود " وأكمل الخطيب حديثه وهو في حالة تعجب من الحال الذي آل إليه الغافلون في هذه الدنيا هؤلاء الذين يعيشون حالة لا مبالاة غير آبهين بما ينتظرهم من حساب وعذاب وحمل هذا المقطع جزاء هذه الغفلة المطبقة على قلوبهم.

---

[1]– التداولية، جورج يول، ص 67.

[2]– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 80.

[3]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 315.

[4]– المرجع نفسه، ص 317.

## 5- الإعلانيات:

هي الصنف الخامس من الأفعال الكلامية تتحقق حين التلفظ بها[1]، وما يميز هذا الصنف من الأفعال "أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي....، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى، أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم فضلا على أنها تقتضي عرفا غير لغوي، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص"[2]، ويشمل هذا الصنف أفعال الوصية والهبة، والبيع والشراء، والاقرار، والوقف والإجازة، والإبراء من الدَّيْن، والتنازل عن الحق والزواج، والطلاق والدعوى والقذف، والوكالة ... وفي كل منها يقع الفعل بمجرد النطق به.[3]

وقد كان حضور هذا الصنف من الأفعال محتشما في خطبة واصل بن عطاء؛ لأنها تركزت على الوعظ الديني، والخطيب فيها كان حريصا على نزعته الإرشادية من خلال الدعوة إلى تقوى الله.

تجسد ذلك في قول الخطيب في المقطع الأول من الخطبة: "الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوه، ودنا في علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعاً، وعدله اصطناعاً، فأحسن كل شيء خلقه، وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كلّ شيءٍ لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبةٍ وهو السميع العليم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا مثيل له، إلهاً تقدست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبه كل مصنوع، فلا

---

[1]- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ط 1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 100.

[2]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، أحمد نحلة، ص 80.

[3]- المرجع نفسه، ص 98.

تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يُعصى فيحلم، ويُدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون، وأشهد شهادة حق وقولَ صدق بإخلاص ونية وصدق طوية، أن محمد بن عبدالله عبده ونبيه، وخالصته وصفيّه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق فبلغ مألكته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضياً على سنته، موفياً على قصده، حتى أتاه اليقين، فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى، وأتم وأنمى، وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصته ملائكته، وأضعاف ذلك،" بعدها حمد الخطيب الله عز وجل موقنا بإيمان صادق، أدى فعلا كلاميا تمثل في آداء الشهادة بالله، وإفراده بالربوبية، وغرضه الإنجازي إعلان الخضوع والإمتثال لأوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه فالخطيب لم يخرج عن سنن الأولين في الابتداء بحمد الله تعالى، والحديث عن ذاته وصفاته ووحدانيته وغير ذلك، والإشادة برسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فضله ومآثره ولا يجوز بأي حال إهمال ها في مثل هذه الخطب الدينية فهي سنة علمنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاها من بعده الخطباء، فالفعل الكلامي وقع بمجرد نطق الخطيب به بإعلان شهادته مخلصا فيها لله تعالى، ولمحمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

# الفصل الثاني:

# الحجاج وآلياته الإقناعية في خطبة واصل بن عطاء

أولا: مفهوم الحجاج

ثانيا: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية المعاصرتين

ثالثا: السلالم والقوانين الحجاجية

رابعا: الروابط والعوامل الحجاجية

خامسا: آليات الحجاج الإقناعية في خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء

لقي الحجاج اهتماما حديثا منقطع النظير، سواء باعتباره مبحثا لسانيا بحتا، أو باعتباره مبحثا منطقيا وفلسفيا وتداوليا، والحقيقة إنه كان وراء هذا الاهتمام إعادة بعث لقضايا البرهان والجدل والمحاجة في المنطق الحديث ثم البلاغة الحديثة التي نشأت على أنقاض البلاغة القديمة. ويعد بعض الباحثين هذه الأبحاث التي، أثارت إشكالية الحجاج في صميم اللسانيات التداولية. وعلى الرغم من اتساع مجال البحث والنظر في قضايا الحجاج[1]، إلا أنه يمكننا أن نستخلص أهم التعاريف لهذه الآلية اللغوية.

## أولا: مفهوم الحجاج:

**أ- لغة:** يرى الزمخشري (ت 538 هـ) أن الحجاج هو المخاصمة، ويضيف بعض المعاني المجازية التي يمكن استعمالها بلفظة الحجاج؛ حيث يقول: "اِحْتَجَ على خصمه بِحُجَةٍ شَهْبَاءٍ وبِحُجَجٍ شُهْبٍ. وحَاجَ خصمه فحَجَّهُ، وفلان خَصْمُهُ مَحْجُوجٌ، وكانت بينهما مُحَاجَة وَمُلاجَةٌ وسلك المَحَجَةَ، وعليكم بالمناهج النيرة، والمَحَاجِجِ الواضحة. وأقمت عنده حِجَة كاملة وثلاث حُجَجٍ كوامل. وحَجُّوا مكة، وهم حُجَاجٌ. وفلان تَحُجُهُ الرفاق أي تقصده؛ قال: يَحُجُونَ سِبَّ الزَبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا وَحَجَ الجِرَاحَةَ بِالمِحْجَاجِ وَهُو المِسْبَارُ"[2].

ويقول ابن منظور (ت 711 هـ) "حَاجَجْتُهُ، أَحَاجَهُ، حِجَاجًا وَمَحَاجَةً حَتَى حَجَجْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالحُجَجِ التي أدليت بها. وحَاجَّهُ مَحَاجَّةً وَحِجَاجًا، نَازَعَهُ الحُجَةَ. والحُجَةُ البُرهان، وقال الأزهري الحُجَةُ الوَجْهُ الذي يكون به الظفر عند الخصومة. ويقال أيضا رجل مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ والتَّحَاجُ بمعنى التخاصم وحَاجَهُ أي نازعه الحُجَةَ"[3].

---

[1]- ينظر: تداولية الخطاب السردي، مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص 103.

[2]- أساس البلاغة، الزمخشري،(مادة حجج).

[3]- لسان العرب، ابن منظور، (مادة حجج).

أما في "تاج العروس" "الزبيدي" (ت 1205 ه): "الحَّجُ الغَلَبَةُ بِالحُجَةِ، يقال حَجَهُ يَحُجُّهُ / حَجًّا، إذا غلبه على / حُجَتِهِ. وفي الحديث: (فَحَجَّ آدم موسى) أي غَلَبَهُ بالحُجَةِ الحَجُّ كثرة الاختلاف والتردد، وقد حَجَّ بنو فلان فلانا، إذا أطالوا الاختلاف إليه"[1].

من خلال هذه التعريفات القاموسية للفظة "الحجاج" يظهر جليا لنا أن هذه اللفظة قد استخدمت في إطار الاستعمالات المتداولة في التواصل اللغوي والتخاطب عند العرب، حيث أنها حملت دلالة المخاصمة والجدل والغلبة بالحجة والبرهان، فهذه الدلالات استعملت في سياق تواصلي يحمل في ثناياه التأثير في الغير والغلبة.

**ب- اصطلاحا:** يشكل الحجاج استرتيجية لغوية تنبني أساسا على مجموعة أفكار ومضامين معينة في شكل قوالب لغوية، موجهة للغير يقصد التأثير والإقناع، ولذلك فقد عرفه "طه عبد الرحمان" بأنه: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[2].

وقد عرفه "أبو بكر العزاوي" في كتابه "اللغة والحجاج" بقوله: "هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها."[3]

ونجد "عبد الهادي بن ظافر الشهري" يعرفه بقوله: "هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها ويتجسد عبرها استراتيجية الإقناع"[4].

---

[1]- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تحقيق : مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1969م، ص 460.

[2]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمان طه، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1998، ص 226.

[3]- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، منتديات سور الأزبكية، العمدة في الطبع، المغرب، ط 1، 2006، ص 16.

[4]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 456.

فالحجاج من خلال ما سبق هو عبارة عن مسلمات خطابية قابلة للرفض أو القبول مدعمة بحجج وبراهين. وهو عملية تواصلية تأثيرية جوهرها قضية ما، تمثل منطلق العملية الحجاجية طرفها مخاطِب مؤثر ومخاطَب متأثر بما يحمله عنصر الخطاب؛ إلا أنه لا يخرج عن كونه عملية إقناع.

## ثانيا: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية المعاصرتين:

### 1- عند الغرب:

#### أ- شايم برلمان (Chaim Perlman)

حظي الحجاج بأهمية كبيرة من قبل الباحث "بيرلمان" (Perlman) في كتابه المشترك مع زميله تيتيكا (Tyteca) "مصنف في الحجاج والبلاغة الجديدة"، سنة 1958 حيث عرف الحجاج تعريفات عدة من أهمها قولهما: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[1].

إن هذا التعريف يضعنا في صلب تصور "بيرلمان" و "تيتيكا" لموضوع الحجاج فهو يدرس تلك الآليات والتقنيات الحجاجية التي تجعل ذهن المتلقي في حالة من القبول والتسليم.

كما يقدم "برلمان" تعريفا جديدا للحجاج "يجعله جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي عن الإقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقتناع معتبرا أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل"[2].

---

[1]- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، ص 27.

[2]- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 2، 2011.

يتميز الحجاج في تصور "برلمان" بخمسة ملامح أساسية لخصها في النقاط الآتية:

- أن يتوجه إلى مستمع؛ بمعنى أن هدفه ايصال الرسالة من المتكلم إلى السامع.
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية، أي يكون الكلام بلغة بسيطة وواضحة يفهمها المتلقي.
- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية، فحجته ليست مطلقة قابلة للرفض والقبول أو التغيير.
- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة، أي لا تحتكم مسلماته (حجج وأدلة وبراهين) إلى قواعد وضوابط منطقية تقيده.
- ليست نتائجه ملزمة، فالنتيجة المتوصل إليها من خلال حججه ليست نهائية قطعية[1].

**ب- أوزفالد ديكرو** (Oswald Ducrot)

تعتبر نظرية الحجاج اللغوي من أهم النظريات المعاصرة التي أرسى دعائمها اللساني الفرنسي "ديكرو" من خلال مؤلفه المشترك مع زميله "جان لود أنسكومبر" (J.C. Anscambre) "الحجاج في اللغة" منذ سنة "1973"، "وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانيات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من فكرة مفادها: "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير". هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنيت الأقوال نفسها"[2].

وقد بين "ديكرو" و "أنسكومبر" أن الحجاج "يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر"[3]، أي أن المتكلم إنما يجعل قولا ما حجة لقول آخر

---

[1]- ينظر: الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، عبد الرحمان بن حميدي المالكي، مجلة البحث العلمي في الأدب، العدد التاسع عشر، ج 2، 2018، ص 10-11.

[2]- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص 14.

[3]- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص 23.

هو بلغة الحجاج نتيجة إقناع المتلقي بها وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني بمعنى آخر أن المتكلم قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الاخبارية بل اعتمادا على بنيتها اللغوية.

ومن منظور "ديكرو" وزميله "أنسكومبر" يقرا بأن الحجاج متجذر في اللغة، أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج والعكس صحيح.

## 2- عند العرب:

جمعت البلاغة العربية في ثوبها الجديد المستجدات المعرفية والمفاهيمية للبلاغة الغربية الحديثة، وانطلق جملة من الباحثين في هذا المجال متخذين لأنفسهم مشاريع حجاجية تختلف باختلاف زاوية الرؤية للنظرية الحجاجية، فألفوا الكتب والمقالات وقاموا بعديد الترجمات وتشترك هذه الأبحاث كلها على حد علم باحثه في أنها لم تأت بجديد فاكتفت بآراء الغرب، إلا في بعض التطبيقات والتي تختلف باختلاف النصوص. وسوف نحاول أن نقتصر على بعض الباحثين العرب وما أضافوه للنظرية الحجاجية.

### أ- طه عبد الرحمان:

تميزت نظرية الحجاج بطابع فلسفي لأنه يسند إلى المنطق فقد زاوج بين القديم العربي والحديث الغربي، فقد عقد بايا في كتابه "اللسان والميزان" سماه "الخطاب والحجاج"، يرى فيه "أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج"[1].

كما عرف الحجاج انطلاقا من مبدأين أساسين هما "قصد" "الإدعاء" و"قصد الإعتراض"، إذ يقول: " إن حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوص يحق له الاعتراض عليها"[2]. واستعرض أيضا أنواع الحجج وأصناف الحجاج وركز على السلم الحجاجي

[1]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمان طه، ص 213.

[2]- المرجع نفسه، ص 226.

بوصفه عمدة في الحجاج، كما درس الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصلا لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني.

ولقد أورد كذلك في كتابه "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" خاصية أخرى للحجاج وهي الحوارية وجعلها في مراتب ثلاث (الحوار، المحاورة، التحاور) كما عالج المنهج الكلامي في ممارسة المتكلمين للحوار[1].

**ب- محمد العمري:**

نظر العمري للحجاج بطابع إقناعي، وهذا تأثرا بالفلاسفة اليونانيين ونجده واضحا في كتابه: "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، إذ يقول: "لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة"[2].

كما اعتمد أيضا على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب والذي يربطها أيضا بالإقناع فيقول: "وبدأ الحنين من جديد إلى "رطورية" أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال"[3].

فبلاغة الخطابة أصبح لها دور فعال ومهم في التأثير في أحوال الناس، وقد ركز على المقام خصوصا في الخطابة السياسية وهي محاورة بين الأنداد ويكثر فيها النصح والمشاورات والخطابة الاجتماعية وتكون فيها خطب في موضوعات اجتماعية تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع، وخطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة في المسرات والأحزان، وتعتمد على الحجج المقنعة والأسلوب الجميل والمؤثر.[4]

---

[1]- ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط 2، 2000، ص 31-32.

[2]- في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002، ص 13.

[3]- المرجع نفسه، ص 14.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 14 – 15.

## ثالثا: السلالم والقوانين الحجاجية:

### 1- السلم الحجاجي:

يعد السلم الحجاجي علاقة ترتيبية للحجج يرمز لها كالآتي:

- "ن": النتيجة

- "ب"، "ج"، "د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى السلم الحجاجي نفسه، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة[1].

ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الآتيتين:

"أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى "ن".

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح"[2]. فإذا أخذنا الأقوال الآتية:

- حصل زيد على الشهادة الثانوية.
- حصل زيد على شهادة الإجازة.
- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا لا تنتمي إلى الفئة الحجاجية نفسها، وتنتمي كذلك إلى السلم الحجاجي نفسه، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبيل كفاءة "زيد" أو "مكانته العلمية". ولكن

[1]- ينظر : السلميات الحجاجية أزفالد ديكرو، أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال، المغرب، ط 1، 2020، ص 19.

[2]- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص 21.

القول الأخير هو الذي يسرد في أعلى درجات السلم الحجاجي، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية. ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي:

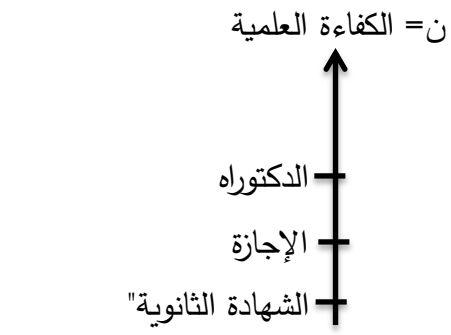


ن: النتيجة [1]

– تكمن أهمية السلالم الحجاجية أساسا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري، وهذا يعني أن القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي.

## 2– قوانين السلم الحجاجي:

يخضع السلم الحجاجي لقوانين ثلاثة عدها "ديكرو" بمثابة القواعد التدعيمية في بناء السلالم الحجاجية وهي:

**أ– قانون النفي:** "إذا مان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (أي ~ أ) سيكون حجة ما لصالح النتيجة المتضادة وبعبارة أخرى، فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحدد بواسطة "ن"، فإن "~أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا – ن" ويمكن أن نمثل لهذا بالمثالين: – زيد مجتهد، لقد نجح في الإمتحان.

– زيد ليس مجتهدا، لأنه لم ينجح في الامتحان"[2].

[1]– الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د.ط)، 2010، ص 60.

[2]– اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص 22.

فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثالث الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني.

**ب- قانون القلب:** ويذكر أصحاب هذه النظرية أن هذا القانون مرتبط بالقانون المتقدم – النفي – ومتمم له، ويفيد أن يكون السلم فيه للملفوظ الحجاجي المنفي هو على العكس من السلم الحجاجي الإثباتي، كما في المثالين الآتيين:

– صارت لي زوجة، بل صار لي أولاد، فأنا سعيد.

– ليس لي أولاد، بل ليست لي زوجة، فلست سعيدا.

فحصول المتكلم على الأولاد أقوى حجة على السعادة من حصوله على الزوجة، في حين أن عدم حصوله على الزوجة أقوى حجة على عدم السعادة؛ من عدم حصوله على الأولاد.[1]

**ج- قانون الخفض:** يوضح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة: "moins que" فعندما نستعمل جملا من قبيل:

* الجو ليس باردا. * لم يحض كثير من الأصدقاء إلى الحقل.

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديدا المثال (الأول)، أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل المثال الثاني، وسيؤول القول الأول على الشكل التالي:

– أذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار.

– وسيؤول القول الثاني كما يلي:

* لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل.

[1]– ينظر، المرجع نفسه، ص 22–23.

وتتجلى صعوبة صياغة هذه الوقائع في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضا في سلمية تدرجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فزيائية. فلا تندرج الأقوال الإثباتية (من نمط "الجو بارد") والأقوال المنفية (من نمط الجو ليس باردا) في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي.[1]

ومن هنا نستنتج أن الأقوال التي تكون خاضعة لقانون الخفض نجد فيها صعوبة في ترتيبها في سلم حجاجي واحد؛ لأنها غير منتمية للفئة الحجاجية ذاتها. وفحواه أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

## رابعا: الروابط والعوامل الحجاجية:

يتحقق الحجاج في اللغة عبر مؤشرات لغوية، تساعد على تقوية الحجاج من أدنى إلى أعلى السلم أو من أعلاه إلى أسفله، وهذه المؤشرات هي روابط لغوية "إن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة نفسها. وإذا كانت الروابط الحجاجية كثيرة في اللغة العربية شأنها في ذلك شأن اللغات الطبيعية الأخرى"[2].

نستنتج من هذا التعريف أن اللغات الطبيعية تشتمل على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج من أهمها الروابط والعوامل الحجاجية فهي المؤشر الأساسي والأبرز على وجود حجاج في السياق اللغوي، ووجودها في النص يعتبر معلما من المعالم التي يهتدي بها.

وقد ميز "ديكرو" بين نوعيه نوعين من المؤشرات الروابط والعوامل الحجاجية واهتم بها لما لها من دور بارز في الخطاب فهي تساعد على فهمه وتأويله "وقد أدت أعمال "ديكرو" إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابية في علم الدلالة وفي التداولية أساسا، فقد بين انعدام الفائدة وصفيا

[1]– ينظر : الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيل علوي، ص 62.

[2]– الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، ص 55.

من السعي إلى تحديد ما لهذه الروابط من محتوى مفهومي، وبين أنه ما دام لها محتوى فكل متكلم يعرف متى يمكنه أو يتعين عليه أن يستعملها"[1].

## 1- الروابط الحجاجية:

تشتمل اللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعية على أدوات وروابط دالة على معان، فتسهم هذه الأدوات بدورها في ترتيب الحجج والربط بينها وترسيخها في ذهن المتلقي، وبهذا تصبح العربية ثرية بأساليب كثيرة ومتنوعة وهذا ما جعل النحاة يهتمون بهذه الروابط ويعقدون لها أبوابا وتقسيمات.

الروابط هي عبارة عن "وحدات صرفية تؤدي وظيفة الربط، داخل الخطاب نفسه، بين ملفوظين مختلفين بناء على علاقة معينة كعلاقة الإضافة أو علاقة التعارض، الشرح والتفسير إلخ وتتألف من عدة طبقات مثل: الحروف، التعابير الظرفية والحالية، والمواجهات، والأسماء والأفعال والصفات"[2].

ونستطيع أن نذكر بعض الروابط الحجاجية مثل: "لكن، بل، وإذا، وإذن، وحتى وكي، ولام التعليل، ولا سيما، وإذ، لأن، وبما أن، ومع ذلك، ربما، وتقريبا، إنما وما، وإلا، وبيد أن ... إلخ. ووتستتبع هذه الروابط علاقات حجاجية قائمة على الحجج والنتائج، وقد تكون هذه الروابط صريحة أو مضمرة حسب السياق التداولي"[3].

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط:

"أ- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن ....) والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي ... )

---

[1]- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول جاك موشلار، ص 169.

[2]- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص 151.

[3]- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 2014، ص 38.

ب- الروابط التي تدرج حججا قوية (حتى، بل، لكن، لا سيما ... ) والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك....) وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لا سيما)[1]".

ومنه فإن الروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح، وتسد لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة.

## 2- العوامل الحجاجية:

إن الحديث عن الروابط الحجاجية يدفعنا إلى الحديث عن العوامل الحجاجية التي تعتبر أهم آلية لغوية، تستدعي حصر الإمكانيات الحجاجية المختلفة.

فالعامل الحجاجي هو "صُرْفَةُ تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانيات استعمالها لغايات حجاجية"[2].

ويعرف "ديكرو" و"أنسكومبر" العامل الحجاجي بقولهما: "إن وجود بعض الصرافم في بعض الجمل يعطيها توجيها حجاجيا .... للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها"[3].

أن العوامل الحجاجية عند "العزاوي" "لاترتبط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.

---

[1]- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص 65-66.

[2]- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 112.

[3]- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط 1، 2011، ص 32.

وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما.... إلا وجل أدوات القصر"[1].

ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي يمكن أن نسوق المثال الآتي:

1- طالعت كتابا.

2- ما طلعت إلا كتابا.

فالملاحظ في المثال الأول أنه لديه قيم حجاجية متنوعة تعرف حسب السياق، مثل كثرة المطالعة والاجتهاد، وقد تكون عكس ذلك، أما المثال الثاني فهو يحمل قيمة حجاجية واحدة وهي قلة المطالعة، كما أن قيمته الإخبارية لم تتغير، لكن القيمة الحجاجية تغيرت وتأثرت.

ومنه فالعامل الحجاجي يؤدي وظيفة الربط بين وحدتين دلاليتين داخل الفعل الكلامي نفسه، أو القضية الواحدة. وتتصف العوامل بدورها في توجيه دلالة الملفوظ وجهة دون أخرى انسجاما مع النتائج المراد التعبير عنها.

ومن هنا نستنتج أن للعوامل الحجاجية دورا فعالا في توجيه الملفوظ نحو نتيجة معينة وتعزيز الخطاب وتحديده حيث إنها تفضي بالملفوظ إلى نتيجة واحدة.

وخلاصة القول؛ إن نظرية الحجاج في اللغة التي أرسى معالمها ديكرو وزميله، قد إتخذت اللغة والخطاب منطلقا بغية الكشف عن بنيتها الحجاجية كما تعد آليات السلم الحجاجي من روابط وعوامل حجاجية، أهم الوسائل التي يستند عليها الخطاب في تحقيق الحجاج.

[1]- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص 27.

## خامسا: آليات الحجاج الإقناعية في خطبة واصل بن عطاء في خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء:

### 1- الروابط الحجاجية:

تعددت الروابط الحجاجية إلا أن واصل بن عطاء لم يوظفها جميعا من ذلك.

**أ- الرابط اللغوي الواو:**

وظف واصل بن عطاء الرابط الحجاجي (الواو) في مواضع كثيرة من الخطبة وذلك في قوله: "فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته، وممن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب"[1].

قدم الخطيب من خلال هذا المقطع نصيحة وإرشاد لمتلقيه، فقد صاغها بمجموعة من الحجج تتظافر فيما بينها لتؤدي إلى نتيجة ألا وهي تقوى الله والفوز بالهداية وبمكانة مرموقة في الدنيا والآخرة، وقد عمل الرابط الحجاجي الواو على الوصل بين الحجة والحجة وهو لا يقتصر على ترتيب الحجج والربط بينها، بل عمل على جعل كل حجة تقوي الحجة الأخرى وفق ربط نسقي لتقوية النتيجة المطروحة وقد رتبنا حججها وفق السلم الحجاجي الآتي:

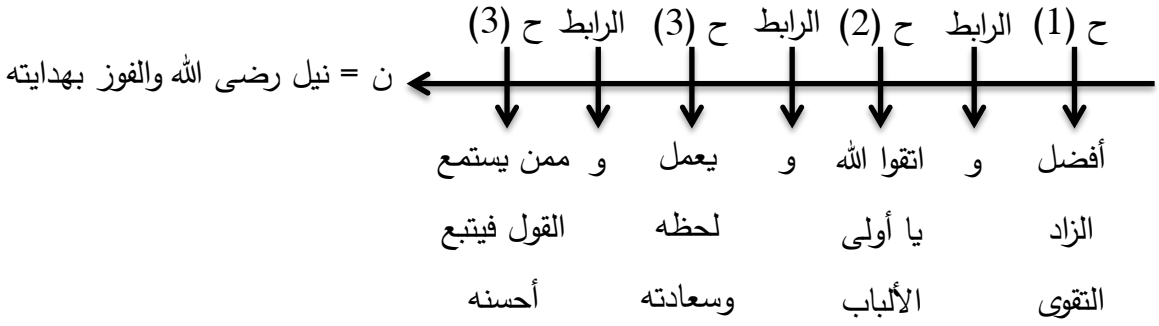


[1]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 317.

## ب- الرابط اللغوي "بل"

يستعمل هذا الرابط للحجاج والإبطال، وتكمن حجاجيته "في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت"[1].

ويظهر الدور الحجاجي للرابط بل في قول الخطيب: "ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعا"[2].

هنا تقدم على "بل" كلام منفي، ولم يكن معنى بل الإضراب وإنما المعنى أمران معا:

"-أولهما: إقرار الحكم السابق، وتركه على حاله من غير تغيير فيه.

- ثانيهما: اثبات ضده لما بعد "بل""[3].

ففي هذا المثال حكم منفي، قبل كلمة "بل" هو نفي بأن الله لم يخلق الكون سابقا ثم أعاد خلقه وأقررنا هذا الحكم المنفي وتركناه على حاله، وفي الوقت نفسه أثبتنا بعدها حكما آخر هو أن الله خلق الكون مرة واحدة في أحسن صورة فعدله.

فالحكم الأول في هذا المثال باق على حاله، لم يقع عليه إضراب أو تغيير والحكم بعد "بل" مضاد لما قبلها، "فالحكمان متضادان؛ ما ينفى أو ينهى عنه قبل "بل"، يثبت أو يؤمر به بعدها"[4].

والسلم الحجاجي الآتي يوضح ذلك:

---

[1]- استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 514.

[2]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 315 .

[3]- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط 4، ج 3، ص 626.

[4]- المرجع نفسه، ص 626.

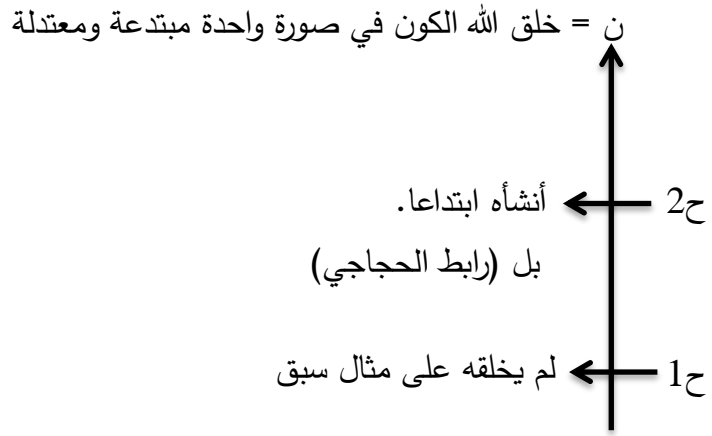


## ج- الرابط الحجاجي حتى:

تعد "حتى" من أهم الروابط الحجاجية التي تربط بين الحجج أو بين الحجج والنتائج ويكمن دورها في ترتيب منزلة العناصر ومعاينتها واستعمالها في السلم الحجاجي[1]، وتقدم هذه الأداة "الحجة القوية باعتبارها الحجة الأقوى من كل الحجج"[2].

وقد ورد الرابط الحجاجي "حتى" ورد في موضع واحد في خطبة واصل بن عطاء في قوله: "ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق، فبلغ مألكته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضيا على سنته، موفيا على قصده حتى أتاه اليقين"[3].

صاغ الخطيب في قوله مجموعة من الحجج التي تنتمي إلى باب حجاجي واحد ولفائدة نتيجة ضمنية هي: (أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدى رسالته على أتم وجه حتى توفته المنية) وهذه الحجج نمثلها على السلم الحجاجي الآتي:

---

[1]- ينظر، استراتيجيات الخطاب عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 517.

[2]- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص 85.

[3]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

ن = (الرسول صلى الله عليه وسلم أدى رسالته على أتم وجه حتى توفته المنية)

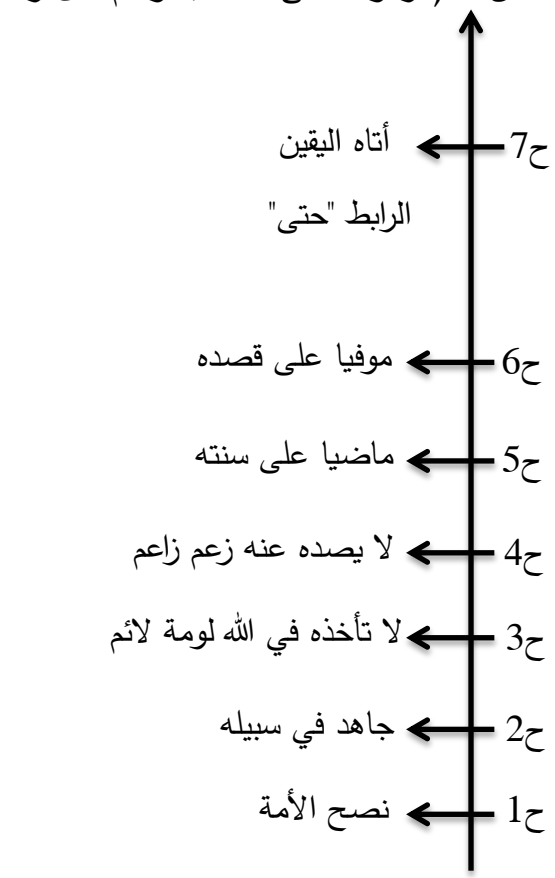


وعليه يتبين أن الرابط "حتى" من الروابط المتساوقة حجاجيا، المدرجة للحجج القوية، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، كما أن القول المشتمل على الأداة حتى لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي.

## 2-العوامل الحجاجية:

تعددت العوامل الحجاجية إلا أن واصل بن عطاء لم يوظفها جميعا من ذلك.

**- العامل الحجاجي "لا .... إلا"**

ومن أمثلة هذا العامل الحجاجي في خطبة "واصل بن عطاء": "أين الملوك الذين بنوا المدائن وشيددوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا العباد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخالبها، وطحنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها، وعاضتهم عن السعة ضيقا

ومن العز ذلا، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا"[1].

يتعجب الخطيب من الدهر، وكيف ينقل الناس من حال إلى حال، وقد قدم الخطيب في ذلك مجموعة من الحجج؛ ليؤكد كلامه، وقد وردت البنية الحجاجية القائمة على الحصر (لا .... إلا) لتؤكد القضية الجوهرية المتناولة في هذا المقطع من الخطبة، تقلب الدهر على العباد وهذا الحصر هو من العوامل الحجاجية لذا فقد قام هذا العامل في النص بحصر الإمكانات الحجاجية للملفوظات وقد تضمن مجموعة من الحجج وكل حجة تخدم نتيجة خاصة بها ويمكن تمثيلها كالآتي:

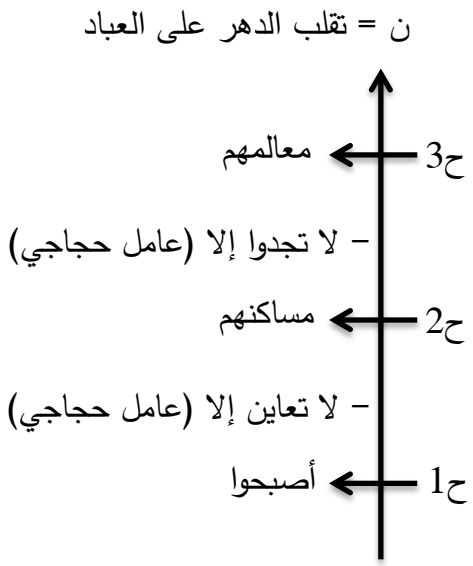


[1]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

# الفصل الثالث:

# الإشاريات التداولية في خطبة واصل بن عطاء

أولا: مفهوم الإشاريات

ثانيا: أنواع الإشاريات

ثالثا: الإشاريات التداولية وقوتها الانجازية في خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء

## أولا: مفهوم الإشاريات:

يعتبر بيرس أول من أطلق تعبير الإشارة أو الإشاريات اللغوية من المحدثين[1]، وتعد الإشاريات من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فمرجعها غير ثابت، وعليه يتبين أن الاشاريات ألفاظ لا يتضح مدلولها إلا أثناء التلفظ بالخطاب فهي توجد في المعجم الذهني ولا ترتبط بمدلول ثابت[2].

وأرمينكو (F.ARMINKO) ترى أنه: "لا يمكن الاستعمال التواصلي للغة العادية أن يتخلى عن التعابير الاشارية، ولضرورتها من أجدى معالجتها، أي ابراز كيفية دخول السياق الذي توجد فيه مرجعيتها ضمن تحديد مرجع الجملة"[3]، وقد بين (لفنسون) أهمية الاشاريات موضحا أنها تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة، بأن اللغة الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه وتظهر أهميتها حين يغيب غناما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم[4]، فالإشاريات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا تاما على سياق ما الذي قبلت فيه.

ولايقف دور الاشاريات في السياق عند الاشاريات الظاهرة فقط؛ بل يتجاوزها إلى الاشاريات المستقرة في البنية العميقة للخطاب، وتكون ذات حضور أقوى أثناء التلفظ الذي يصدر من الذات بسمات معينة، وعملية التلفظ لا تتم دون حضور الأدوات الاشارية الثلاث، وهي (الأنا الهنا، الآن) ويمثل كل صنف نوعا من الاشاريات وهي الاشاريات الشخصية، المكانية الزمانية[5].

---

[1]– ينظر، المقاربة التداولية، فرنسواز أرمينكو، ص 41.

[2]– استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية عبد الهادي بنظام الشهري، ص 79–80–81.

[3]– المقاربة التداولية، فرنسواز أرمينكو، ص 44.

[4]– ينظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 18.

[5]– استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 81.

## ثانيا: أنواع الاشاريات:

للاشاريات أنواع رئيسة، ولكل نوع دوره في الخطاب، وهي: الاشاريات الشخصية، الاشاريات الزمانية، الاشاريات المكانية، وهي موجودة أصلا في كفاءة المرسل اللغوية باعتبارها "أولى الصيغ التي ينطق بها الأطفال، وتستعمل للإشارية إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي (أنا، أنت)، أو إلى المكان من خلال التأشير المكاني (هنا، هناك) أو إلى الزمان من خلال التأشير الزماني (الآن، أنذاك)، وتعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها على المتكلم، ومستمع يتشاركان في السياق ذاته"[1].

### 1- الاشاريات الشخصية:

تعد الاشريات الشخصية صنفا من أصناف الاشاريات وهي مؤشرات لسانية تبرز على مستوى البنية السطحية أو العميقة للخطاب وتشمل جميع أنواع الضمائر المتصلة والمنفصلة والمستقرة وهي "الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل: أنا أو المتكلم، ومعه غيره، مثل نحن والضمائر الدالة المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا.

وضمائر الحاضر هي دائما عناصر اشارية؛ لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي ترد فيه"[2].

وهذه العناصر الاشارية اللغوية تحول دائما اللغة إلى خطاب تحادثي آني، وهذا سبب تسميتها بضمائر الحضور؛ أي وجود صاحبها وقت الكلام؛ والحضور قد يكون حضور المتكلم كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها، أو حضور إشارة كهذا وفروعها[3].

---

[1]- التداولية، جورج يول، ص 27.

[2]- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 18.

[3]- ينظر، اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1994، ص 108.

## 2- الاشاريات الزمانية:

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الاشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ[1] فمثلا يتجاوز مدلول كلمة اليوم في عبارة "شباب اليوم" دلالة هذا العنصر الاشاري إلى الزمن الكوني الذي يتحدد بأربع وعشرين ساعة إلى أن يشمل العصر الذي نعيش فيه، فهذه الدلالة الاضافية موكلة إلى السياق الذي ترد فيه هذه العناصر الاشارية.

كذلك صيغ الأفعال فإنها تخضع لتفسير مرتبط بزمن المتكلم،فالفعل الماضي يضع الحدث في نقطة زمانية سابقة على زمن المتكلم بينما الفعل المضارع يضع الحدث في نقطة زمنية ليست سابقة لزمن المتكلم، لذلك فإن هذه العناصر الاشارية قد تكون دالة على الزمن الكوني الذي يفترض سلفا وقد تكون دلالة على الزمن النحوي، وقد يتطابقان في سياق الكلام، وقد يختلف الزمن النحوي على الزمن الكوني، فينشأ بينهما صراع لا تحله إلا المعرفة بسياق الكلام[2] فتعتمد الاشاريات الزمانية في تفسيرها على معرفة وقت الكلام فمن أجل تحديدها وتأويل الخطاب الذي وفيه تأويلات صحيحة "يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ فيتخذها مرجعا تحيل عليه، ويؤول مكونا التلفظ اللغوي بناء على معرفتها"[3].

## 3- الاشاريات المكانية:

هي عناصر اشارية يعتمد تفسيرها على السياق المباشر المادي الذي قيلت فيه ومعرفة مكان المتكلم وقت التكلم، وبذلك "يتأسس المكان في تلك النقطة من الفضاء التي يتواجد فيها

---

[1]- ينظر، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 19.

[2]- ينظر، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 21-22-23.

[3]- المرجع نفسه، ص 83.

المتكلم أثناء الحديث (لحظة اللتلفظ)"[1] أو يكون المكان المشار إليه معروفا للسامع والمخاطب فلا يمكن تحديدها إلا على وقف ما تشير إليه بالقياس مركز الاشارة مكان المتكلم، حيث لا يمكن للمتكلم أن "ينفك عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا يعطي الاشاريات المكانية مشروعيتها واسهامها في الخطاب"[2] ولتحديد المكان أثره هذا، ذاك، هناك، هنالك، وسائل ظروف المكان ونحو: فوق، تحت أما، خلف .... كلها عناصر يشير بها إلى مكان لا يتحدد إلا بتحديد موقع المتكلم أو جهته[3].

ومنه فالاشاريات بأنواعها الثلاث تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي، وهي المتكلم والمتلقي، وزمن المنطوق ومكانه، فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوحى من ذلك معرفة هوية المتكلم والمتلقي والاطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي.

## ثالثا: الاشاريات التداولية وقوتها الانجازية في خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء:

### 1- الاشاريات الشخصية:

للإشاريات الشخصية بأنواعها الثلاث دور حيوي في خطبة واصل بن عطاء، وإنجاح عملية التواصل بين المتكلم والمتلقين، وتحقيق الانجازية والتأثير في نفوسهم فضلا عن الترابط النصي الذي تحققه الضمائر داخل النص.

---

[1]- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط 2، ص 124.

[2]- استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد بن ظافر الشهري، ص 84.

[3]- ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 21.

## أ- ضمائر المتكلم:

ضمير المتكلم المفرد "أنا" تداوليا يعبر عن منشأ الخطاب، ومنتجه، ويدل على ذاتيته فهو مركز المقام الإشاري باعتباره التلفظ به إلى مخاطب بقابله في مقام التخاطب، وبضمير المتكلم المفرد يدرك المتلقي صلطة المتكلم، وتمكنه من النص، فالتعبير عن الذاتية في اللغة أهم دور تقوم به الضمائر من منظور تداولي؛ لأنها تمنح الشخص القدرة على امتلاك ناصية الحديث فالأنا تحيل على المتلفظ بل هي محوره في الخطاب[1] لذلك فواصل بن عكاء يعبر في المقطع الأول من خطبته باستعمال ضمير المتكلم الذي تظهر شخصية الخطيب (المتكلم) من خلاله، وهو ضمير كاشف يعبر عن ايمانه بالله عز وجل، وبنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا مثيل له ..... ، وأشهد شهادة حق .... وخالصته وصفيه"[2] فما نلاحظه من استعمال ضمير المتكلم في المقطع السابق والذي جاء مستترا مع الفعل (أشهد) يعود مرجعه على الخطيب في أنه عكس عقيدته الدينية ذات الطابع الاسلامي، وذلك من خلال الثناء على الله تعالى بما هو أهل له، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، والصلاة عليه على اعتبار أن العقيدة الاسلامية هي الايمان الجازم بالله سبحانه وتعالى، وما يجب له من ألوهيته وروبيته، والقوة الانجازية هنا تكمن في رغبة الخطيب في التأثير في سلوك مخاطبيه، حيث رأي الخطيب أن ترسيخ العقيدة الاسلامية في أذهان متلقيه ضرورة حتمية على اعتبار أنها تمثل العمود الفقري للدين الاسلامي، وعليه يتضح واصل بن عطاء يدرك قيمة المقدمة وأثرها لدى المتلقي في خطبته، فطعمها ببعد ديني اسلامي؛ إذ أنه لا أحد ينكر الدور الذي تلعبه مقدمة وأثرها لدى المتلقي في خطبته، فطعمها ببعد ديني اسلامي، إذ أنه لا أحد ينكر الدور الذي تلعبه مقدمة الخطبة في التمهيد لموضوعها، فالغرض منها تنبيه السامعين إلى موضوع الخطبة وترغيبهم في الاستماع.

---

[1]- ينظر، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 82.

[2]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

ونجد في خطبة واصل بن عطاء أنه قد جمع بينه وبين المتلقي باستعمال ضمير المتكلم الجمعي "نحن" الذي يدل في بنيته العميقة على العنصرين "أنا وأنت"؛ ليجعل من المتلقي مشاركا معه في العلمية الخطابية وقد ورد ضمير جمع المتكليمن "نحن" في نهاية الخطبة في المقطعين الآتيين: "جعلنا الله واياكم ممن ينتفع بمواعضه، ويعمل لحظه وسعادته..... أولو الألباب"[1].

"نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ..... وأعاننا .... وأدخلنا ..... لي ولكم"[2].

ورد ضمير جمع المتكلمين "نحن" متصلا في (جعلنا – نفعنا – أعاننا – أدخلنا) وصيغة الدعاء في مقطع الخطبة أعلنت عن مرجع ضمير المتكلم "أنا"، وهو عنصر إشاري بديل عن الضمير "نحن"، ولهذا الإعلان يفهم من خلاله الإشارة الشخصية للضمائر؛ فمرجع الضمير فيه يشير إلى المتكلم (الخطيب) مع المتلقي (الناس) في صورة تضامنية تعاونية وفي هذا الدعاء رغبة للعمل ليوم الآخرة والاستعداد ليوم الحساب بأداء جميع العبادات على وجهها الصحيح.

وعليه نجد أن الضمائر باعتبارها أحد العناصر الاشارية بالرغم من أنها مبهمة باستعمالها داخل السياق يصبح لكل واحدة قيمة تداولية.

**ب- ضمائر المخاطب:**

تعد ضمائر المخاطب أحد العناصر الاشارية، وتأتي بعد ضمائر المتكلم من حيث قوة الحضور والمشاهدة؛ لأن كل خطاب لا بد له من متلق يشار إليه بالضمير الخاص به (أنت أو أنتم)، وهي تأخذ بعد تداوليا؛ لأنها محط اهتمام المتكلم؛ بل هي وجهته ومقصده وحضورها أمر ضروري؛ لأنها طرف مشارك في عملية إنجاز الخطاب وتوجيهه، إذ إن ما يتلفظه المتكلم يستمد معناه بفضل نيته في إحداث تأثير معين لدى المخاطب، وتبليغ مقصد محدد. وضمائر

[1]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

[2]- المرجع نفسه، ص 317.

المخاطب تقابل المرسل إليه في الدائرة التواصلية أثناء التخاطب على اعتبار أن الخطاب هو كل منطوق به موجه للغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا وهذا يدل على وجود علاقة اتصالية تبتدئ بالمتكلم وتنتهي بالمتلقي غايتها الإبلاغ والانجاز والتأثير[1].

* ورد ضمير جمع المتخاطبين في مقطعين في نهاية الخطبة في قوله: "فتزودوا عفاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون"[2].

"فإذا تلي عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تهتدون"[3].

وضح ضمير جمع المخاطبين "الواو" المتصل مع الأفعال (تزودوا – اتقوا – استمعوا – أنصتوا) هذه العوامل المتمثلة في لزوم طاعات الله وتقواه وحسن الثقة به، والتدبير في كتابه الحكيم، وهو ما يدل عليه ضمير المخاطب "الواو" وهو عنصر إشاري نائب عن الضمير "أنتم" وعلى الرغم من أنه يعد من المبهمات حين افراده؛ إلا أنه بوجوده في السياق أكسب المعنى قوة وتأثيرا.

ونجد واصل بن عطاء موظفا ضمير المخاطب الجمعي "أنتم" الذي جاء ضميرا متصلا "الكاف وذلك في عدة مواضع من ذلك: "أوصيكم مع نفسي بتقوى الله والعمل بطاعته والمجانبة لمعصيته فأحضكم على ما بينكم منه، ويزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبة في معاد، ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها .... وكم نصبت لكم من حبائلها"[4].

"فتزودوا واعفاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون، جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه"[5].

---

[1]– ينظر، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، طه الرحمان، ص 215.

[2]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 317.

[3]– المرجع نفسه، ص 317.

[4]– المرجع نفسه، ص 316.

[5]– المرجع نفسه، ص 316.

فالخطيب في هذين المقطعين يذكر المؤمنين بطاعة الله والامتثال لأوامره وحثهم لمجانبة المعاصي، وقد أشار إليهم باستعمال الضمير المخاطب الجمعي أنتم الذي جاء متصلا بالـ "كاف" في الكلمات الآتية:

(أوصيكم – أحضكم –يدينكم – يزلفكم – تلهينكم – لكم – عافاكم – لعلكم – إياكم).

## ج– ضمائر الغائب:

الضمير الغائب عنصر إشاري من أكثر الضمائر إبهاما صاحبه غير معروف؛ لأنه غير حاضر ولا مشاهد، فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره، ويوضح مراده، وهو "يدخل في الإشاريات؛ إذا كان حرا لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي فإذا أعرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات"[1].

ويتبين مرجعه وقد اختير الضمير المتصل الهاء ليدل على الغائب الذي يكون غائبا عن المشاهدة حاضرا في النفس والعقل ومن شواهده في خطبة واصل بن عطاء: "الحمد لله القديم بلا غية ..... ولا تحيط به العقول ولا الأفهام"[2].

بدأ واصل بن عطاء خطبته بحمد لله والثناء عليه وعزز مقدمة خطبته بذكر صفات الله وقدرته في خلق الكون، وقد تضمن الخطاب مجموعة من العناصر الإشارية على المفرد الغائب في الكلمات المسطرة في المقطع السابق وهذا الضمير المتصل "الهاء" مرجعه يعود على الله سبحانه وتعالى الذي سبق ذكره في بداية الخطاب.

ونجد واصل بن عطاء موظفا ضمير الغائب المتصل "الهاء" في موضع آخر: "وأشهده شهادة حق ..... وخالصته ملائكته"[3].

---

[1]– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 19.

[2]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 315.

[3]– المرجع نفسه، ص 316.

ضمير "الهاء" المتصل يعود مرجعه على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكره مرة واحدة وعدل عنه بغية الاختصار والايجاز وذلك في الكلمات المسطرة في المقطع السابق، وبين لنا هذا الضمير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق عند الله تعالى وله مكانة رفيعة عنده وذلك لأنه ابتعثه ناصحا للأمة ومبلغا لرسالته.

أما في قوله: "ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها وفوتن لذاتها وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شيء منها يزول، فكم عانيتم من أعاجيبها وكم نصبت لكم من حبائلها، وأهلكت ممن جنح إليها واعتمد عليها، أذاقتهم حلوا، ومزجت لهم سما"[1].

يتضمن الخطاب مجموعة من العناصر الإشارية الدالة على المفرد الغائب المؤنث "هي" في (زينتها، خدعها، لذاتها، آمالها، أعاجيبها، حبائلها) وهذا الضمير المتصل الهاء مرجعه يعود على الدنيا التي سبق ذكرها مع بداية الخطاب وكأن المتكلم أراد من المتلقي التركيز على الدنيا وإبلاغه شيئا مهما، ونهيه عن التمسك بها وقد بين غدرها مع من يتخذها مأمنا، حيث شرع في تعداد صفات الدنيا الغدارة وقد أشار إليها بضمير "الهاء" في الكلمات المذكورة سابقا، وهذا التكرار الضمير الغائب العائد على الدنيا يحمل بعدا تداوليا وهو التأثير في الملتقى وإقناعه بهذا النهي وهذه الصفات التي اتصفت بها الدنيا في أنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها وتخدع بغرورها، لكن سرعان ما تضرم نيرانها، وترحل بالموت فتفرق الأهل والأحباب.

وفي موضع آخر من الخطبة يقول واصل بن عطاء: "إن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله الزكية آياته، الوتضح بيناته، فإذا تلي عليكم فاستمعوا له وأنصتو لعلكم تهتدون".

[1]– واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

يتضمن هذا المقطع مجموعة من العناصر الإشارية الدالة على المفرد الغائب المذكر "هو" في (آياته، بيناته، له) وهذا الضمير المتصل "الهاء" مرجعه يعود على القرآن الكريم، إذ نجد الخطيب ناصحا ومرشدا للناس بالعودة إلى القرآن الكريم والاستماع إليه والعمل بمواعظه.

**2- الإشاريات الزمانية:**

يغيب عنصر الإشاريات الزمانية في الخطبة نظرا لطبيعة الموضوع، فواصل بن عطاء يعظ ويعلم مقدما نصائح وإرشادات لا تربط بزمان.

**3- الإشاريات المكانية:**

إن معرفة المرجع المكاني للخطاب بسهم في تحديد مراد المتكلم ومقصده، لذا أجاد واصل بن عطاء توظيف الإشاريات المكانية في خطبته توظيفا بارعا، حيثما ربطها بتحقيق مقصديته التي أخذت بعدا دينيا يقوم على الوعظ والاعتبار، وقد شكل موضوعا أساسيا كان الخطيب ينطلق منه في إقناع الناس، وحثهم إلى الابتعاد عن ملذات الدنيا وشهواتها والعمل للآخرة قبل فوات الأوان، يقول: "أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب وكثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا العباد، واستخدموا التلاد، قبضتهم بمخالبها وطمنتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها، وعاضتهم عن السعة ضيقا، ومن العز ذلا، ومن الحياة فناء فسكنوا اللحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاين إلا مساكنهم، ولا تجد إلا معالمهم"[1]. يصف الخطيب في هذا النص الدنيا، ويحذر منها، وعبر عن ذلك باستخدام المؤشرات المكانية (المدائن، المصانع، اللحود، مساكنهم، معالمهم)، وهذه المؤشرات المكانية مقصدها يعود على أن الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء، والمتمسك بها كالمتمسك بالسراب، ومن جعل الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه ذل وخذل، وأحداثها شاهد عيان عن كل ذلك فهي متاع الغرور فحياتها عناء، ونعيمها ابتلاء، وملكها فناء، فالخطيب يحث على الزهد فيها ويدعوا إلى العمل للآخرة.

[1]- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993، ص 316.

# خاتمة

سعينا من خلال هذا البحث إلى مقاربة تداولية في الخطاب الديني من خلال دراسة لخطيب من خطباء القرن الثاني للهجرة، وهو خطيب الخطباء أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي، الذي لم يحظ من اهتمام الكتاب والباحثين بدراسة منفردة تفيه قدره، ولقد كشفت لنا هذه المقاربة التداولية الملامح العامة التي وسم بها الخطاب الديني عند واصل بن عطاء من خلال خطبته التي جانب فيها حرف الراء، حيث جاءت خطبة دينية قصيرة تهدف إلى وعظ الناس وإرشادهم، ودعوتهم إلى التمسك بطاعة الله وحثهم على العمل للآخرة، وتحذيرهم من الغفلة والمعاصي والتزام آداب الإسلام وأخلاقه.

كانت خطبة واصل بن عطاء مرتجلة أمام الوالي ووفد من العلماء، اقتدر صاحبها على الاستغناء فيها عن حرف من حروف من أكثر الحروف دورانا في الكلام، وعلى الرغم من أنها خطبة ذات طابع ديني فإن فيها من معاني القرآن الكريم ما فيها، إذ كانت مقدمته تتضمن الحمد والثناء على الله تعالى بما هو أهل له، ثم الشهادتان والصلاة والسلام على رسول الله، ثم يأتي العرض الذي يتضمن الموضوع والغرض الذي تتحدث عنه الخطبة، وأخيرا الخاتمة التي تتكون من الدعاء، وبذلك يكون الخطيب قد التزم بسنة الخطباء السابقين الذين تعلموا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- يتحسس قارئ الخطاب الصدق في كلام الخطيب من خلال خطبته وكان صادقا فنيا.

- أما النتائج المتوصل عليها في فصول البحث فهي كالآتي:

- تمييز الخطاب الديني عند واصل بن عطاء ببعده عن التكلف وأساليب الصنعة، فهو خطاب عفوي بلغة الحياة اليومية اللغة الفصيحة البسيطة، وهذا ما جعله يأخذ بعدا تداوليا؛ لأنه راعى فيها قدرات مخاطبيه اللغوية والعقلية.

- برز في خطبة واصل بن عطاء تمظهر الأفعال الكلامية بمختلف أنواعها وبدرجات متفاوتة (اخبارية، توجيهية، وعدية، تعبيرية، إيقاعية)، إذ غلبت الإخباريات والتوجيهيات على بقية

أصناف الأفعال الكلامية، وقد وظفت الأفعال الكلامية بمختلف أنواعها كإستراتيجية أسلوبية في الخطاب الديني عند الخطيب لتأدية مجموعة من الوظائف.

غايتها التأثير في المخاطب، فلا يخلو خطاب الإمام من الفعل التأثير الذي يهدف من ورائه إلى الإصلاح وبناء الإنسان عقليا وروحيا وفقا للثقافة الإسلامية الصحيحة.

* اتكأ الخطيب على مجموعة من التقنيات الحجاجية، ليدعم بها خطابه، ويدفع المتلقي إلى الإقتناع وذلك من خلال الوقوف أولا على مقدمات حجاجية تشكل نقطة انطلاق مما جعل خطبته ذات فاعلية حجاجية، بانتقاء طريقة العرض بهدف التأثير في جمهور المتلقين بتهيئتهم للقيام بسلوك معين.

تعددت الروابط والعوامل الحجاجية في خطبة واصل بن عطاء وكان لها دور فعال في انسجام الخطاب من ناحية أخرى وجهة قوية ومؤثرة؛ بحيث تلغي تعدد الإحتمالات وتوجه الخطاب نحو وجهة منفردة وواضحة، وقد كانت الأفكار فيها تسير باتجاه أفقي حتى تصل إلى أقوى حجة في أعلى السلم، وكانت محكومة بقرائن حجاجية موظفة لخدمة غايات دينية من جهة، ومن أخرى إقناع المتلقي بها.

* عبرت الإشاريات عن مقاصد الخطيب المختلفة، وتبين من خلال استقرائها ولاستعمالاتها في خطبة، أبعاد العلاقة التخاطبية بينه وبين متلقيه، فالضمائر باعتبارها أحد العناصر الإشارية على الرغم من أنها مبهمة، لكن استعمالها داخل السياق أصبحت لكل واحدة منها قيمة تداولية تختلف عن الأخرى باختلاف المقام والحال الذي يكون عليها المتلقي. في حين لعبت الإشاريات المكانية دورا مهما في تجلي قصد الخطيب واصل بن عطاء، وفي تأثير الخطاب على المتلقي من جهة أخرى، وقد ارتبطت بمقاصد دينية أما الإشاريات الزمانية فهي لم تحظ بدور في خطبته نظرا لطبيعة الموضوع الذي جاء للوعظ والنصح.

وفي الأخير نرجو أن يكون بحثنا لبنة طيبة وإضافة مفيدة في ميدان البحث العلمي نبغي من ورائه المنفعة العلمية، والأجر والثواب، ونحن لا ندعي للكمال والتمييز فيه، وإنما يكفينا شرف القصد وإخلاص النية في تقديم الفائدة بما تسنى لنا من المعرفة والجهد، والله أعلم بهذا القصد، وآخر دعوانا الحمد لله.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولا:**

**- القرآن الكريم رواية ورش عن نافع**

**ثانيا: المصادر:**

- واصل بن عطاء آراءه الكلامية، سليمان الشواشي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1993.

**ثالثا: المراجع:**

1. أساس البلاغة، للزمخشري (ت 538 هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.
2. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط 1، 2004.
3. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة، الجامعية مصر، د ط، 2002.
4. الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، علي محمود حجي الصراف مكتبة الآداب القاهرة، ط 1، 2010.
5. أهالي المرتضي غرز الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء المكتبة العربية القاهرة، مصر، ط 1، 1954.
6. البيان والتبين، الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخارجي، القاهرة، مصر ط 7، 1998.
7. اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون اتفاقية العامة، بغداد، العراق، ط 1، 1987.
8. مدخل إلى النظرية الفعل الكلامي جوتس هند، ترجمة سعيد حسن بحيري زهراء الشرق، مصر، ط 1، 2012.
9. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص والخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، عمان، 2009م.

10. تأويل خطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد، أحمد عبد الله الطيار، حولية كلية أصول الدنيا، القاهرة، العدد 22، المجلد 3، 2005.
11. التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2006.
12. التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 2016.
13. التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة عيد بليغ، كنوز المعرفة، عمان، ط 3، 1441 هـ – 2002 م.
14. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول جاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط 1، 2003.
15. التداولية بين النظرية والتطبيق، أحمد جسن كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع القاهرة، ط 1، 2015م.
16. التداولية عند العلماء العرب مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1 2005.
17. الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 2010.
18. الخطاب الديني تجديد لا تبديد... وتطوير لا تحريف، محمد عبد الفتاح مصطفى كنوز القاهرة، ط 1، 2017.
19. الخطابة أرسطو طاليس، تحقيق عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1959.
20. الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، محمد محمود السيد أبو حسين مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 2010.
21. السلميات الحجاجية، أزفالد ديكرو، أبو بكر العزاوي، مطبعة وراقة بلال، المغرب ط1، 2020.

22. السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000.
23. سير أعلام النبلاء، عثمان بن قايماز الذهبي بين الأفكار الدولية، لبنان، ط 1 2004.
24. الشعرية وانسجام الخطاب لسانيات النص، شعرية جان كوهن، مصطفى رجوان، دار كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 2020.
25. العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط 1، 2011.
26. النظرية البراجماتية اللسانية، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2013.
27. النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 2005.
28. النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط 1، ج 3.
29. الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة مانع بن حماد الجهني دار الندوة العالمية، الرياض، ط 4، 1420 هـ.
30. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي الرباط، المغرب، ط 2، 2000.
31. القاموس المحيط الفيروزآبادي تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 2017.
32. في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002.
33. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص أحمد المتوكل، دار الأمان، المغرب، ط 1، 2013.

34. كتاب العين، أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2003م.
35. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهناوي، تحقيق علي وحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط 1، 1996.
36. لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ)، دار صادر بيروت لبنان، ط 3، 1994.
37. اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان بغداد، ط 1، 2015.
38. مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي باديس لهويمل، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط 1، 2014.
39. معجم التعريفات الجرجاني (ت 816 هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1985.
40. مقالات التداولية عمر بلخير دار الأمن، تيزي وزو، الجزائر، 2013.
41. مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان، ط 2 1991م.
42. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، د ط، 2014.
43. نظرية أفعال الكلام العامة، جون أوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، مطابع إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، د ط، 19991.
44. نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ظافر سعيد شرقة، مركز الفكر المعاصر، الرياض، ط1، 1433 هـ.
45. وفيات الأعيان وأنباء الزمان أبي بكر خلكان تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، د ط، 1978.

# فهرس المحتويات

| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| شكر وعرفان | |
| إهداء | |
| مقدمة | أ – و |
| المدخل: المجال مفاهيم أولية | |
| أولا: التداولية، المفهوم، النشأة، والتطور | 9 |
| ثانيا: الخطاب والخطاب الديني والخطبة | 13 |
| ثالثا: المعتزلة المفهوم والنشأة | 18 |
| رابعا: واصل بن عطاء المعتزلي | 20 |
| الفصل الأول: الأفعال الكلامية في خطبة واصل بن عطاء | |
| أولا: نظرية أفعال الكلام | 22 |
| 1- مفهوم الفعل الكلامي | 22 |
| أ- الفعل الكلامي عند أوستن (مرحلة التأسيس) | 23 |
| ب- الفعل الكلامي عند سيرل (مرحلة البناء) | 29 |
| ثانيا: أفعال الكلام وقوتها الانجازية في خطبة واصل بن عطاء. | 37 |
| 1- الاخباريات | 37 |
| 2- التوجيهات | 40 |
| 3- الالتزاميات | 42 |
| 4- التغييرات | 43 |
| 5- الإعلانيات | 45 |
| الفصل الثاني: الحجاج وآلياته الإقناعية في خطبة واصل بن عطاء | |
| أولا: مفهوم الحجاج | 48 |
| ثانيا: الحجاج في الدراسات الغربية والعربية المعاصرتين | 50 |
| ثالثا: السلالم والقوانين الحجاجية | 54 |

| | |
|---|---|
| رابعا: الروابط والعوامل الحجاجية | 57 |
| خامسا: آليات الحجاج الإقناعية في خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء | 61 |
| الفصل الثالث: الإشاريات التداولية في خطبة واصل بن عطاء | |
| أولا: مفهوم الإشاريات | 67 |
| ثانيا: أنواع الإشاريات | 68 |
| ثالثا: الإشاريات التداولية وقوتها الانجازية في خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها حرف الراء | 70 |
| خاتمة | 78 |
| قائمة المصادر والمراجع | 82 |
| فهرس المحتويات | |
| الملخص | |

# الملخص

**الملخص:**

التداولية علم جديدفي مجال التواصل الانساني، وظيفته دراسة الظواهر اللغوية في الاستعمال لذلك سمي بعلم الاستعمال اللغوي؛ أي إنه يدرس علاقة النشاط اللغوي؛ أي إنه يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وكيفية استخدام اللغة، ويبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة واضحة وناجخة ضمن السياقات المختلفة.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل الخطاب الديني تداوليا بدراسة تطبيقية في خطبة واصل بن عطاء (80 هـ – 131 هـ) التي جانب فيها حرف الراء، وكان موضوعه بطريقة استعمال اللغة غن طريق الآليات التداولية التي وظفها الخطيب في خطبته متمثلة في: الإشاريات الأفعال الكلامية، الحجاج؛ ومن أجل تبليغ مقصده والوصول إلى ذهن المتلقي والتأثير فيهودفعه إلى الإقناع وانجاز فعل ما.

**الكلمات المفتاحية:**

التداولية، الخطاب، الخطاب الديني، المعتزلة، الأفعال الكلامية، الإشاريات، الحجاج.

**Summary:**

Pragmatics is a new science in the field of human communication. Its function is to study linguistic phenomena in use. That is why it is called the science of linguistic use, meaning that it studies the relationship of linguistic activity to its users and how to use language, and it searches for factors that make discourse a clear and successful message. within different contexts.

This research aims to analyze the religious discourse pragmatically with an applied study in the sermon of Wasel Ibn Ataa (80 AH _ 131 AH) in which the letter R was included, and its topic was the way of using the language through the deliberative mechanisms that the preacher employed in his sermon, represented in: signs, verbal verbs, Al-Hajjaj and in order to convey his intention and reach the mind of the recipient and influence it, and push him to persuade and accomplish an action.

**key words:**

deliberative, discourse, religious discourse, Mu'tazila, verbal acts, gestures, pilgrims.